

محمّد الكيلاني

# الترؤسكية والتروستكيون في تونس

تعتقد فئة من البلاشفة أن التروستكية جزء من الشيوعية، إلا أنها والحق يقال تحظى  
وتقوم بحماقات عديدة وأحيانا معادية للشيوعيات أيضا. ولكنها مع ذلك تمثل جزءا من  
الشيوعية. وهذا يعني نوعا من الليبرالية حيال التروستكيين وأصحاب الفكر التروستكي.  
ومن البديهي أن مثل هذا الرأي حول التروستكية خاطيء تمام الخطأ ومضّر، إن  
التروستكية في الواقع ومنذ زمن بعيد توقفت على أن تكون جزءا من الشيوعية، وهي في  
الواقع فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة، التي تناضل ضد الشيوعية وضد سلطة  
السوفيّات وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيّاتي. من أعطى للبورجوازية المعادية للثورة  
سلاحا روحانيا وإيديولوجيا ضد البلشفية في قالب أطروحات حول استحالة بناء  
الاشتراكية التام في بلدنا وحول التفسخ الحتمي للبلشفية... هذا السلاح أعطاه  
التروستكية وليس من قبيل الصدفة أن تستنجد كل التجمعات المعادية للسوفيّات، في  
الاتحاد السوفيّاتي، في محاولاتها لتبرير صراعها ضد سلطة السوفيّات/بالاطروحة  
التروستكية المعروفة جيدا حول استحالة البناء الكامل للاشتراكية في بلدنا وحول التفسخ  
الحتمي لسلطة السوفيّات والعودة المحتملة للرأسمالية.

ستالين

السعر : ديناران

# الترجمة والترجمة في تونس

مجلد الكيلاني

SAID MONHER  
HAMAM SOUSSE  
03 243 251  
257

## تقديم

لم تعرف الحركة الشيوعية في بلادنا التروتسكية على صورتها الأصلية إلا في الأيام الأخيرة مع ظهور مجموعة «الشيوعيين الثوريين» (مجموعة نصيرة للأمية الرابعة التروتسكية).

وكانت سبقها محاولات للتشكل في أواخر الخمسينات مع مجموعة «كفاح» وهي انشقاق عن الحزب «الشيوعي» التونسي. ومنذ أواخر الستينات ومطلع السبعينات بدأت مجموعة من الشباب الطلابي تروج بعض منشورات «الأممية الرابعة» بصورة محدودة. لكن مجموع هذه المحاولات باءت بالفشل. بينما ظهرت التروتسكية وشاعت في صورة غير نقية مع منظمة «آفاق - العامل التونسي». وكنت قدّمت تقييما شاملا لقولاتها في «الحركة الشيوعية في تونس 1920 - 1985 : محاولة تقييمية».

ويعود تشكل «الشيوعيون الثوريون» في تنظيم سياسي الى مطلع الثمانينات بعد عودة بعض الرموز من المهجر والتحاق بعض العناصر الطلابية ذات الميولات التروتسكية بهم وكان أول ظهور لهم عن طريق نشرية «العمل» في الحركة الطلابية أو عن طريق بعض المقالات الصحفية، وكانوا يوقعون تارة باسم «الماركسيين الثوريين» وأخرى باسم «الشيوعيين الثوريين». ولما تحصل «التجمع الاشتراكي» على نوع من القانونية، انضموا اليه وشاركوا في «الموقف». ثم انسحبوا بعد مدة معللين ذلك باكتشافهم بيمية نجيب الشابي وجماعته. ومنذ انسحابهم تشكلوا في مجموعة خاصة بهم (الشيوعيون الثوريون) أصبحت تصدر نشرية «الشرارة» وتروج في نفس الوقت مجلة «الطرقة» التي تشارك في إصدارها الى جانب «التجمع الشيوعي الثوري» من لبنان، و«العصبة الشيوعية الثورية» (ماتسيبان) من اسرائيل.

الطبعة الأولى ماي 1989  
في 3000 نسخة

## الجزء الأول

### تروتسكي، التروتسكية

#### I - تروتسكي ذو الوجه المتعدّد أو «يهودا الثورة».

وقد التحق «بالإسكربين» فيما بين 1901 و1903 وتعرّف على لينين شخصياً بلندن سنة 1902. وفي المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي المنعقد بلندن سنة 1903، اختار الوقوف الى جانب المناشقة في الخلافات العميقة التي قابلتهم بالبلاشفة حول البند الأول من النظام الداخلي للحزب. وأصبح في ذلك الوقت منشقاً متحمساً. ونظم مع مارتوف ندوة للأقلية في سبتمبر 1903 «لبحث الطرق الكفيلة بمقاومة قرارات المؤتمر وعرقلة تطبيقها».

وفي سنوات الهبوط الثوري 1904 - 1905 ابتعد شيئاً ما عن المناشقة وبقي متردداً مرة يقترب من «الاقتصادوي» مارتينوف، وأخرى ينادي «بالثورة الدائمة» هذه النظرية التي اقتبسها عن الماركسي الألماني الزيف بارفوس. وهي نظرية يسارية متطرفة ومغامرة تدعو الى القيام مباشرة بالثورة الاشتراكية في روسيا أي بحرق مراحل الثورة، وتنفي أهمية التحالف بين العمال والفلاحين في إحراز النصر النهائي.

ثم عاد تروتسكي ليقترّب بعض الشيء من البلاشفة سنتي 1906 - 1907. وفي ربيع 1907 أعلن تضامنه مع روزا لوكسمبورغ النصف منشقية وقتها<sup>(1)</sup>.

(1) ضد الانتهازية البينية واليسارية والترتسكية، دار التقدم موسكو 1986 ص 409 ص 248

ولم تتمر وحدة المجموعة طويلا اذ انقسمت الى فريقين:  
الأول حافظ على اسم التنظيم الأم وجريدته والثاني سمي نفسه «الشيوعيون الثوريون  
خط القطيعة» وأصدر نشرية «طريق الشراة».  
وحصل هذا الانقسام ابتداء من العدد الثامن «للاشارة»، ومنذ الأيام الأولى التي بدأت  
فيها التفكير في الرد على مقولات الجماعة لمست الحاجة الأكيدة الى ضرورة التعرف بحقيقة  
مرجعهم النظري «التروتسكية» وبسيرة واضع هذه النظرية: تروتسكي. لذلك قسمت هذا  
العمل الى قسمين:  
الأول يخص تروتسكي والتروتسكية والثاني يعنى بجماعة «الشراة».



«ترك الفرصة الراهنة تمرّ و«تقرّب» مؤتمر السوفيات، هذه بلاهة تامة أو خيانة تامة».

ولما اتخذت اللجنة المركزية (البح. الم) للحزب قرار الانتفاضة ولم ينجح تروتسكي في تأجيلها أفشى هو الآخر القرار، كما فعل زينوفيف وكاميناف من قبله، في مؤتمر فرع الحزب بموسكو - كان المؤتمر علنيا - مما اضطر الحزب الى تقديم موعد الانتفاضة بـ 24 ساعة فكانت مظفرة وأزاحت الطبقات الحاكمة القديمة ورفعت البروليتاريا الى السلطة السياسية. ومع ذلك ظل تروتسكي مترددا وأخفى نظرياته ومواقفه ليعيد لها الحياة في الوقت المناسب. ولم يكن مؤمنا بالثورة ولا بسيرها ومصيرها، جرّته معها الى حين، وسرعان ما عاد الى تردده القديم ومعاداته القديمة للبشفيّة واللينينية وذلك عندما ظهرت الصعوبات الأولى والتعقيدات في الأوضاع أمام السلطة السوفياتية الفتيّة، ولاحت المنعطفات الهامة في مسيرتها والمواقف الحاسمة التي عليها اتخاذا بعيدا عن الرومنسية الثورية وأصغلت أحلام المثقفين السّابحين في عالم النظريات المجردة والغارقة في المثاليّة.

في مثل هذه الأوضاع كانت الكتلة المعادية للحزب، المؤلفة من «الشيوعيين اليساريين» و«المعارضة العمالية» والناشئة التسليّين والزينوفيفيين والبخاريين وتروتسكي وأتباعه الذين حاولوا البقاء لفترة من الزمن خارج «الكتل»، كانت تعمل من أجل عرقلة تطوير السيرة الثورية وتخريبها من الداخل وكان تروتسكي أحد وجوهها البارزين. وتحوّل تروتسكي منذ مطلع العشرينات الى منظر ومنظم لكل الشيع المعادية للاشتراكية والحزب البلشفي.

غالباً ما تكشف الظروف الصعبة التي تمرّ بها الثورة عن العناصر غير الثابتة، تلك التي لم تتمكّن من استيعاب الماركسية اللينينية (الم.ل) على الوجه الصحيح، وتلك التي تنقصها الصلابة السياسية والتي يربكها بسهولة ضغط البورجوازية وهي غالباً ما تقبل بالانضباط الحزبي لفظاً لكنها تخترقه في كل مناسبة لتتمرّ وجهة نظرها الماغمية أو الانهزاميّة، تغلّتها بجلبة من الشعارات «الثورية» وتشكّك في نفس الوقت في سلامة السياسة البروليتارية. كانت أول وأهمّ مسألة حادّة اعترضت ثورة أكتوبر هي مسألة معاهدة الليتوفسك (\*) التي كان يتوقّف عليها بقاء أو عدم بقاء الجمهورية السوفياتية ذاته، وانعكاسات ذلك على الثورة العمالية. وبعد نقاشات مضنية توصّلت اللجنة المركزية للحزب البلشفي الى موقف موحد (بالأغلبية) بدفع من لينين وستالين، الى ضرورة عقد معاهدة مع ألمانيا وحلفائها في أسرع وقت. فشّل «الشيوعيون اليساريون» بقيادة بوخارين وبياتاكوف حرباً ضدّ المعاهدة واعتبروها خيانة في حق الوطن. والثورة وطالبوا من الجمهورية السوفياتية ان

وفي فترة التشكّك كما يعرفها لينين، أي بعد انهزام ثورة 1905، وقت استعادت الرجعية تحكّمها في الأوضاع وبعد تقلّبات عديدة وطويلة انصرف تروتسكي مجدداً الى اليمن وفي 1912 انضمّ الى كتلة «أوت» وكان أحد منظمي الندوة التي انبثقت عنها. وتألفت هذه الكتلة من مجموعات و«فرق انقسامية يجمع بينها شيء واحد وهو معاداة الحزب. وتخلّى تروتسكي بالنسبة عن برنامج الحزب وعن الضال في سبيل الجمهورية ويوم عمل بـ 8 ساعات، وفي سبيل النزاع الأراضي الملاك العقاريين الكبار.

لم يمض على تكوّن هذه الكتلة عام ونصف، حتى ظهرت علامات تفكّكها حين أعلن تروتسكي في فيفري 1914 عن بعث جريدة «غير كتلوية» وضع لها هدف توحيد الحزب (كدا!!). ويكون بذلك أعلن عن انتهاء كتلة «أوت». وعادوا للتولج بشعار الوحدة مع من؟ مع النصفين والناشئة والاقتصاديين والتروتسكيين بالطبع.

واحتل تروتسكي موقعا توفيقيا من الحرب العالمية الأولى حين رفع شعار «لا انتصار، لا هزيمة» مرددا شعار الزعماء الانتهازيين كاوتسكي وغيره من الوستين في الأهمية الثانية. يقول لينين عن رافعي هذا الشعار: «إن كل من يساند شعار: «لا انتصار، لا هزيمة» هو شوبيني واعبي أو غير واعبي، وفي أحسن الحالات فهو بورجوازي صغير توفيق، لكنه في كل الحالات عدو للسياسة البروليتارية ومناصر للحكومات والطبقات الحاكمة الحالية» (\*). لقد جرّت الثورة معها بقوّة منطقها عناصر غير ثابتة وضعت على رؤوسهم أكابيل النصر فظهروا وكأهم زعماء لها. لكنهم سرعان ما بدأوا بالتراجع وتحوّلوا شيئا فشيئا الى معرقل حين انتهت فترة المدّ وبدأت الصعوبات. وتروتسكي أحسن ممثل لهذا الصنف من الناس.

إنه لم ينتم للحزب البلشفي إلا في مؤتمره السادس المنعقد في بتروغراد فيما بين 3 و16 أوت 1917 بعد أن أعلن تخلّيه عن نظرياته الخرقاء. وفي الأيام الحاسمة من أكتوبر وقت كان زينوفيف وكاميناف يتصرفان «كمخترين إضرابات» وكعملاء للبورجوازية حين أفضيا موعد الانتفاضة، كان «يهودا الصغير» - حسب تعبير لينين - يحاول تأجيلها الى مؤتمر السوفيات الذي يعود له حسب ادعائه حق اتخاذ القرار في شأنها. وهذا يعني ترك الفرصة للعدو كي يعيد تنظيم صفوفه على الطبقة العاملة وتبسيط معنويات الجماهير من كثرة الترقّب، ويقرّط بالتالي في امكانية إنجاح الثورة. يقول لينين بهذا الصدد:

(2) و (3) تروتسكي والتروتسكية (نصوص وثائق)، نورمان بيتون ص 48-49، الترجمة لنا.  
(\*) عقدت معاهدة صلح بين الاتحاد السوفياتي وألمانيا ومن وراءها حلفاؤها النمسا والمجر، تركيا بلغاريا، في براست - ليتوفسك في 3 مارس 1918 وألغى الاتحاد السوفياتي هذه المعاهدة في 13 نوفمبر 1918.

تشن حرباً ثورية ضد ألمانيا لمساعدة الثورة الألمانية، وإعطاء دفع» للثورة العالمية. وقف تروتسكي كعادته موقفاً «توفيقيّاً» في الظاهر «لا حرب لا سلم» لكنه في الواقع كان يبيت البلبلة في صفوف الطبقة العاملة ويعطي للألمانية مبررات مواصلة هجومها على الجمهورية السوفياتية الفتية واحتلال مناطق وأراضي أخرى. وأثناء المباحثات تعتمد تروتسكي خرق توصيات اللجنة المركزية وتعليماتها ورفض التوقيع على معاهدة السلم وأعلن أنّ روسيا السوفياتية لن توقع على المعاهدة، بل توقف الحرب وتسرح الجيش. الأمر الذي شجع الألمان على مواصلة الحرب. وكلف الشعوب السوفياتية خسائر كبيرة وأجبر السلطة السوفياتية على عقد اتفاقية سلم في غير صالحها أكثر من ذي قبل.

وواصل تروتسكي على نفس المسلك في الحرب الأهلية فأجبر الحزب البلشفي أن يتصلى المرار العديدة لمخططاته الانهزامية. ولم يتمكن الجيش الأحمر من هزم كولنشاك إلا برفض مخطط تروتسكي الداعي إلى إيقاف الهجوم وأقوت اللجنة المركزية للحزب البلشفي مواصلته حتى زيادة جيوش كولنشاك وعيّنت ستالين لقيادة العمليات. وكذلك الأمر لدينكين فقد وافقت اللجنة المركزية على مخطط ستالين الذي عيّنه بدل تروتسكي في قيادة العمليات على كامل الجبهة.

وهذه الصورة فحسب تمّ القضاء على كولنشاك ودينكين وسائر الحرس الأبيض، وتمكنت السلطة السوفياتية من تأمين الوضع الداخلي نهائياً بعد أن أمنت حدودها واسترجعت أراضيها من الغزاة الألمان.

واجهت السلطة السوفياتية في مطلع العشرينات وضعا اقتصاديا واجتماعيا صعبا خلفته الحرب العالمية والعدوان الامبريالي والحرب الأهلية. كان المرور من سياسة «شيوعية الحرب» إلى «السياسة الاقتصادية الجديدة» عسيرا. وكانت في تلك الظروف وحدة الحرب وتعزيز دكتاتورية البروليتاريا وتوطيد تحالف العمال والفلاحين، المسألة المركزية التي تشغل بال الحزب وقيادته. لكن تروتسكي وجد فرصته لفرض نقاش عام حول النقابات واقترح تحويلها إلى مجرد تابع للدولة وجزء من جهازها، نافية بذلك الدور الذي أوكلائه لها الماركسية اللينينية حين اعتبرتها مدرسة للشيوعية، ومتراجعا جبهة عن مبدأ أساسي من مبادئ دكتاتورية البروليتاريا. يقول لينين أن سياسة تروتسكي الداعية إلى «دولة» النقابات «وهزها» تؤدي إلى قطيعة لا مناص منها بين الحزب والنقابات وبين هذه الجماهير العمالية، وهذا يعني بالتأكيد هلاك السلطة السوفياتية».

وبعد أن هزم في المناقشة العامة الأولى وعندما كان الاتحاد السوفياتي يواجه مصاعب اقتصادية متأنية من اتساع الهوة بين الأسعار الصناعية والفلاحية تمّ آثار تملل الفلاحين،

وعندما كان الحزب أيضا مجتدا في سبيل صيانة تحالف العمال والفلاحين وذلك باتخاذ الاجراءات الاقتصادية اللازمة لمعالجة هذا الوضع الشائك، وفي وقت اشتد المرض بلينين شنّ تروتسكي في أواخر أوت 1923 هجوما على قادة الحزب الثابتن وهيئات العليا وأعلن أنّ «الحزب يمحضر...» و«يعاني أزمة حادة» وهو بصدد البقرط» وفرض مناقشة عامة حول «الديمقراطية داخل الحزب» وحول «أجهزته وهيئاته» وحول «صراع الأجيال داخله» وحول مسألة «ارتداد الفلاحين». كتب وثيقة في أكتوبر 1923 موجهة للحزب يعلن فيها أنّ اللجنة المركزية تسير بالبلاد نحو الخسائر المحتتم. وبعد ذلك بقليل قدّم وجماعته سميرنوف وبريورا جينسكي وبياتاكوف وغيرهم «أرضية الـ 46» موجهة ضدّ خط الحزب وقادته ولم تستثن لينين الذي كان على فراش الموت.

وميت محاولته هذه أيضا بفشل ذريع وانكشفت مواقفه للحزب والطبقة العاملة على أنّه يهدف إلى زعزعة وحدة الحزب وتخريب تحالف العمال والفلاحين من خلال معارضته لسياسة الأسعار والإصلاح المالي الذي أقدمت عليه السلطة السوفياتية. وصب جام غضبه وحقله على الفلاحين الذين «ارتدوا» عن الثورة حسب زعمه.

كما يهدف شلّ مجهود الحزب في تعزيز دوره القيادي في عملية البناء الاشتراكي وتعويضه أحيانا بالدور «الانتاجي» للنقابات وأحيانا أخرى بجهاز الدولة. وفي نفس الوقت دعا إلى حقّ الكتل والمجموعات في الوجود داخل الحزب على أساس أرضيتها الخاصة.

أظهرت النقاشات العامة التي فرضها مجتدا على الحزب في 1924 حول مسألة البناء الاشتراكي، الهوة التي تفصل اللينينية عن التروتسكية، وتروتسكي عن الحزب البلشفي. لقد افتتح حملته الجديدة بمقال تحت عنوان «دروس ثورة أكتوبر» تنكّر فيه للقرى التي كانت المحرك للثورة الروسية في مختلف مراحلها. وعارض تقييم لينين والبلاشفة لثورة أكتوبر ودروسها وأحصى نظرية «الثورة الدائمة» التي أكّدت الأحداث بشكل عملي في الثورات الروسية الثلاث خطاها. وحاول تمرير كذبته على أنّ البلاشفة أعادت قبيل الثورة «تسليح نفسها ايدولوجيا بتبنيها لنظرية الثورة الدائمة». تشويه لثورة أكتوبر وتنكّر فيج للدور الذي لعبه فيها الحزب البلشفي ولجنته المركزية وعلى رأسها لينين، وسطو على الثورة لفائدة التروتسكية وفبركة تاريخ مجيد لها.

ولمّا هزم وانكشف أمره «أقسم» بكل «الامان الغليظة» أنّه سوف ينضبط مستقبلا لقرارات الحزب وأن لا يعود لاثارة النقاشات المهمة خوفا من طرده، ومحاولة منه لحماية أتباعه في انتظار أيام «أفضل».

وبعد مدة وجيزة عن هزيمته في مناقشة 1924 وجد الحزب نفسه مجبرا على مواجهته

رابعة. لكنه هذه المرة ترك لزيونيف وكاميف «شرف» بدء الهجوم على اللجنة المركزية للحزب وكان ذلك في مطلع 1925 في أحد اجتماعاتها حين أعلن هذان الانتمائين أن البناء الاشتراكي في بلد مختلف كالاتحاد السوفياتي لا يكتب له النجاح الا بمساعدة أوروبا المصنعة. وطلت على السطح مرة أخرى مسألة بناء الاشتراكية في بلد واحد واتضح الخط الرابط بين موقفها الانتمائي وبين صاحب «الثورة الدائمة» الذي لا يرى هو الآخر امكانية لبناء الاشتراكية الا بعد انتصار الثورة في البلدان الأوروبية.

كشفت الدوة 15 للحزب عن مواقف الكتلتين الميمنية واليسارية وأكدت المبدأ اللينيني القائل «بامكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد انتصرت فيه الثورة، بالاعتماد على قواه الذاتية».

وكما تطور الصراع ضد الكتلتين اتسعت الهوة بينهما وبين الحزب الى أن تحولنا الى فرقتين معاديتين للثورة تعلان على تحزب الثورة والاشتراكية.

وبداية من 1927 تمكنت الكتلتان من وضع أرضية مشتركة تجمعهما وقتل خليطا من الافكار والمقولات الانتمائية والانتهازية المعادية للينينية ولخط الحزب. وتحولنا بذلك الى حزب يتعارض كليا والحزب البلشفي. وبدأنا نعدنا للقيام بأعمال معادية للسوفيات، وتقاومان الحزب والسلطة السوفياتية. فيتدخل أتباعها في اجتماعات اللاحزبيين ويعقلون الاجتماعات السرية... الخ.

ولما أخذت أعمالهم هذا المنعرج قررت اللجنة المركزية للحزب البلشفي فسخ عضوية تروتسكي وزيونيف وزكى المؤتمر 15 المنعقد في ديسمبر 1927 هذا القرار واتخذ نفس الاجراء في شأن كاميف وغيره.

وبعد أن أطردت هذه الجماعات المعادية للاشتراكية واللجنة المركزية من الحزب، مرت الى أساليب عمل ارهاية تم كشفها في الايام وقمعها. عندئذ قررت الحكومة السوفياتية معاقبة تروتسكي بإبعاده عن البلاد، خاصة وأنه يتحرق للاتحاق بالقيادة المشفقين والاشتراكيين الثوريين الذين أصبحوا منذ أمد طويل يعملون لحساب البورجوازية الاحتكارية، ويتعاون عدد منهم مع النازية.

وفي المهجر رمى تروتسكي كل أقمته وظهر بوجهه الحقيقي المعادي للاشتراكية وللماركسية اللينينية حول جميع قضايا الثورة. وأصبح يتعاون مع الجرائد الاكثرجعية يمدّها بمقالات مهيبة للاتحاد السوفياتي وقادته وعلى الاخص ضد ستالين. ثم جمع حوله الفرق التي رمتها الاممية الشيوعية خارج صفوفها على قاعدة أرضية ايدولوجية واحدة «معادية للشيوعية والاممية الثالثة وبلد دكتاتورية البروليتاريا».

وهكذا تلاقت أهداف تروتسكي وأتباعه مع أهداف البورجوازية العالمية وعلى الاخص فرقة الفاشية. ووصل الامر الى حد تنظيم محاولات اغتيال ضد قادة الاتحاد السوفياتي، ذهب ضحيتها كيروف.

وختاماً لهذا الفصل نود تقديم بعض المقتطفات من رسالتين وجهتهما تروتسكي، الاولى الى رئيس الكتلة المشفية في الدوما «نيكولا تشيكيدزي» وهي مؤرخة بتاريخ أفريل 1913، والثانية وجهها الى ميخائيل ستينانوفيتش (عضو قديم في الحزب) في 1921.

ومن بين ما ورد في الاولى ما يلي:

«... (ان) الانشقاق التعمس الذي أثاره لينين، الخير في هذا الفن، ومخترع استغلال رتبة الحركة العمالية الروسية يظهر بمثابة حلم مزعج وعيبي. لا يوجد أي اشتراكي عاقل لا يعتقد أن الاختلاف بين وجهات النظر التي فيركها لينين في كراكوفي، هي بقية تؤدي الى الانشقاق...» وفي كلمة ان اللينينية في هذه الفترة مبنية على الكذب والتزوير وتحمل في ذاتها تفككها.

وتما لاشك فيه أنه اذا أحسن الطرف المقابل التصرف فان السوس سوف لن يتخلف عن الظهور بين اللينينيين...».

«يجب أن تكون خطتنا حالياً قائمة على (...) «تخطيط ايدولوجي وتنظيمي للحدود التنظيمية التي مازالت قائمة، ومن ثمة تخطيط أسس اللينينية التي لا تتلاءم وتنظيم العمال في حزب سياسي»<sup>(1)</sup>.

وتما ورد في الرسالة الثانية ما يلي:

«... تطالبون مني ان كان بإمكانكم نشر رسائلي لتشيكيدزي، ان الظرف ليس سانحاً...»

«لقد أخطأت كليا في تقديري للشق المنشفي حين كنت أضخم من طاقاته الثورية والذي كنت أتصور انه بالامكان عزله والتخلص من اليمين. ويعود هذا الخطأ الاساسي الى انني كنت أقدر الشقين البلشفي والمنشفي من زاوية الثورة الدائمة ودكتاتورية البروليتاريا. بينما كان البلاشفة والمناشفة يتنون في ذلك الوقت الثورة الدائمة والبورجوازية والجمهورية الديمقراطية. ولا أظن أن الشقين فصلهما خلافات عميقة. وكنت أمل (كما كنت عبرت عن ذلك مرارا في رسائل وتقارير) أن سير الثورة سوف يجبرهما الى أرضية الثورة الدائمة وانفكاك السلطة من قبل الطبقة العاملة وهو ما تحقق جزئيا في 1905...».

«إني أعتقد أن تقديري للقوة المحركة للثورة كان صحيحا بدون أدنى شك...»<sup>(١)</sup> تؤكد المقترحات التي قدمناها من الرسائل العدا التي تضمنت تروتسكي للينين واللينينية - في حين يدعي تروتسكي أنها لينينية - كما أنها تعطينا نموذجاً حياً من تروتسكي متعدد الوجوه. ونمثل شهادة قاطعة على أنه لم يتخل في أي مرحلة من مراحل حياته عن نظرياته وحافظ عليها حتى عندما انضم إلى صفوف الحزب البلشفي في 1917 (قبيل الثورة).

ويكفي أن نعرف أن تروتسكي قضى أكثر من ثلاثين سنة من حياته السياسية التي وصلت الأربعين يناهض البلشفية واللينينية وتحول في آخر حياته إلى الد أعداء الاشتراكية والدولة السوفياتية، لكي نفهم مصدر التقلب الذي دأب عليه والعداء الذي يكنه للبلشفية.

## II - التروتسكية نظرية معادية للماركسية اللينينية على طول الخط :

(1) التروتسكية والحزب من الطراز اللينيني :

تعود بدايات قطيعة تروتسكي مع الماركسية إلى 1903 في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، لما وقف إلى جانب المناشفة وفسد لينين والبلشفية فيها يتعلق بصياغة القوانين الداخلية للحزب.

بدأ الخلاف بين البلشفة والمناشفة (مع الملاحظ أن هذا التشكل لم يظهر إلا في آخر المؤتمر وبعده، ونستعمل هذه التسمية للدلالة فحسب)، حول مضمون الفقرة الأولى من النظام الداخلي.

قدم مارتوف مشروعه : «يعتبر متسببا لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي كل من يعترف ببرنامجه ويعمل بنشاط على تنفيذ مهامه تحت رقابة هيئات (كدا) الحزب وقيادتها»<sup>(٢)</sup>

يتعارض هذا المشروع مع ما قدمه لينين :

«يعتبر عضوا في الحزب كل من يعترف ببرنامجه ويؤيده ماديا ويشترك شخصيا في إحدى المنظمات الحزبية»<sup>(٣)</sup>.

كان الخلاف في البداية محدودا وثانويا لا يتوقف عليه حياة الحزب أو موته، رغم أنه يمس بقضايا مبدئية. لكن الذي وقع بعد المؤتمر حول هذا الخلاف الصغير إلى خلاف كبير

(3) و(4) والمختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 409.

أصبح عمدا في بقاء الحزب أو اندثاره. عندما شرع المناشفة في البحث عن مبررات لموقفهم ووضعوه في التزلة الأولى وأصبحوا طبقا لذلك يعارضون قرارات المؤتمر ويعرقلون تنفيذها. تجلّى وقتها العمق الانتهازي للمناشفة. وأصبحت الفقرة الأولى خط الفصل بين نظريتين للحزب :

الأولى : يدافع عنها لينين تقول بوجود أن يكون الحزب كلاً منظماً، باعتباره طليعة الطبقة العاملة. وأن تكون الحدود بينه وبين الطبقة مرسومة بوضوح بحيث لا يستقبل في صفوفه إلا العناصر الطلائعية القابلة للتنظيم. لذلك شدد لينين في الفقرة الأولى على أن يوافق العضو على البرنامج ويدفع معلوم اشتراكه وينتمي إلى إحدى منظمات الحزب ويخضع لانضباطية واحدة تحددها قوانين الحزب الداخلية. ولخص لينين نظريته في المخطط التالي :

«من الممكن عرض الفكرة بوضوح على النحو التالي تبعا لدرجة التنظيم بصورة عامة ودرجة سرية المنظمة بصورة خاصة يمكن تمييز الفئات التالية على وجه التقريب :

- (1) منظمات الثوريين (يعني بها المحترفين، من عندنا).
  - (2) منظمات العمال، على أن تكون واسعة ومتنوعة قدر الامكان (وإني أقصر كلامي على الطبقة العاملة وحدها لكنني أفترض من البديهي أن ينظم إليها أيضا بعض العناصر من الطبقات الأخرى في بعض الأحوال). إن هاتين الفئتين تؤلفان الحزب.
  - ثم (3) منظمات العمال التي ترتبط بالحزب.
  - (4) ومنظمات العمال التي لا ترتبط بالحزب لكنها تخضع لرقابته. وقيادته.
  - (5) العناصر غير المنظمة من الطبقة العاملة هذه العناصر التي تخضع جزئيا أيضا لقيادة الاشتراكيين - الديمقراطيون (تسمية قديمة للشيوعيين - من عندنا)، على الأقل أثناء المظاهرات الكبيرة للنضال الطبقي»<sup>(٤)</sup>
- وكان لينين شرح أفكاره هذه بالعمق الكافي في «ما العمل ؟» وفي «رسالة إلى رفيق» وعاد لاثرائها وتعميقها، على قاعدة الجدل الذي قابل بالمناشفة في المؤتمر الثاني وما بعده في مؤلفه «خطراتنا...»
- أما الثانية فينبأها ويدافع عنها مارتوف والمناشفة وانظم إليهم تروتسكي. إنهم يريدون حزبا مفتوحا لا حدود له، حزبا لا فرق بينه وبين الطبقة التي يمثلها. يقول مارتوف :

(6) والمختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، التقدم موسكو 1986 ص 373 و 442.

ولخص لينين هذه الفوضى وهذا التشويش الذي يتضمنه مخطط مارتوف لبناء الحزب كما يلي :

- (1) منظمات مؤلفة من ثورين.
  - (2) منظمات عمالية معترف بها منظمات حزبية.
  - (3) منظمات عمالية غير معترف بها منظمات حزبية (ولا سيما منظمات المستقلين).
  - (4) أفراد منفردين يقومون بشئى الوظائف من أساتذة، وطلاب... الخ.
  - (5) كل مضرب<sup>(10)</sup>.
- نأتى الآن لتروتسكي. لقد وقف طيلة المؤتمر وبعده بقليل في الوسط، ثم التحق بمارتوف والناشئة عندما أصبح يقلل من أهمية النظام الداخلي بدعوى أن للانتهازية جذورا أعمق من هذا البند أو ذاك، وهي دعوة صريحة للتخلي عن الضوابط والحدود التنظيمية وفتح الحزب أمام كل مضرب وكل مثقف. يقول تروتسكي :

«إنه أسهل على الشبان المثقفين التنظيميين بشكل أو بآخر أن ينخرطوا في صفوف

الحزب»<sup>(11)</sup>.

يشتمل هدفه الأساسي في التقليل من أهمية المبادئ التنظيمية لجعل الحزب مفتوحا

مانما تنظيميا وبالتالي أداة في يد البورجوازية تضلل بواسطة الطبقة العاملة وتضرب وحدتها.

عرف تروتسكي، عندما كان ايسكريا، القوانين الداخلية للحزب «بالحدار المظم».

إلا أنه نسيها فيما بعد ولم تعد تمثل بالنسبة إليه ذاك السلاح القوي الذي يستعمله الحزب

ضد الانتهازية. ونسي أنه بقدر ما تكون للانتهازية جذور عميقة بقدر ما يستوجب استعمال

سلاح قاطع ضدها.

ومزيد اقتراب تروتسكي من المناشئة ووقوفه ضد البلاشفة، بنى نظريته الخاصة بنمط

الحزب الذي يشمله : حزب يضم حرية التكتل والتجمع. هذه هي القاعدة النظرية التي

قادت تروتسكي والتروتسكيين في نشاطهم التصفوي والمعادى للحزب، باسم الوحدة.

الخ.

يقول لينين هذا الصدد :

«وفيما يتعلق بأهمية شروط تحقيق وحدة الحزب هنالك نظرتان :

- واحدة تخضع في المقام الأول للتوفيق بين أشخاص وجموعات وهيئات معينة. وفي

المقام الثاني الوحدة حول عمل الحزب وحول التوجه الذي نعطي له. وتبذل جهدها

(10) المختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 438.

«كلما عممت تسمية عضو الحزب كلما كان أفضل»<sup>(7)</sup>.

ويضيف :

«لا يسعنا إلا أن نعتبط إذا كان بإمكان كل مضرب، كل منظر، يدرك مسؤولية

أعماله، أن يعمل عن نفسه عضوا في الحزب»<sup>(8)</sup>.

وبهذه الصورة يفقد الحزب صفته الطلائعية. ويصبح لا فرق بينه وبين جمهور طبقته.

وتعم فيه الفوضى والتزدد والميوعة التنظيمية.

انحدر المناشئة بنظرية الحزب الماركسي إلى مستوى الفوضوية والعفوية، لأنهم لا

يريدون أن يضعوا فرقا بين المنسب للحزب وغير المنسب بدعوى أن الحزب هو حزب طبقة

وليس حزب نخبة. لذلك لا بد أن يكون مفتوحا عليها، مفتوحا لكل مضرب وكل طالب

يعمل أنه اشتراكي - ديمقراطي. وهم بذلك لا يقيمون وزنا للوعي الطبقي ولا للمسؤولية

الحزبية.

إنه لمجرد حلم ساذج الاعتقاد أن الطبقة العاملة وعلى الأخص في عهد الرأسمالية

بإمكانها أن ترتقي إلى مستوى طليعتها وتنتمي للحزب أي لطبقة أركانها العليا... كما عرفه

ستالين - ، يقول لينين هذا الصدد :

«نحن نخدم أنفسنا ونمغض عيوننا عن عظيمة مهماتنا، بل نصيغ نطق هذه

المهمات، إذا نحن نسبنا الفرق بين فصل الطلبة وبين كل الجماهير التي تمثل إليها، وإذا

نسبنا أنه على فصل الطلبة واجب دائم هو رفع جماعات أوسع فأوسع إلى هذا المستوى

المقدم الراقي. وإنما نعمل بالضبط على اغماض العيون إذا محونا الفرق بين المرتبطين وبين

المتسبين بين العناصر الواعية والنشيطة وبين العناصر التي تساعدنا»<sup>(9)</sup>.

أغمض المناشئة أعينهم بالفعل عن مهمات الحزب ودوره عندما قدموا انعدام التنظيم

على أنه التنظيم، بمجرد أن يعلن أي مضرب انتسابه للحزب وأعطوه حق الاعلان عن نفسه

عضوا.

إن صيغة الفقرة الأولى من النظام الداخلي التي قدمها مارتوف تدافع بالكلام عن

الفتات العمالية الواسعة وعن حقها في الانتهاء للحزب، لكنها في الواقع تخدع نرجسية

المثقفين البورجوازيين الصغار الذين يخافون التنظيم البروليتاري والانضباط الحزبي، لأنهم

مشبهون بفرديتهم حتى النخاع.

(7) و (8) المختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 427.

(9) المختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 427.



لاخامد الخلافات عوضا على البحث عن منابعها وتحديد أهميتها... وفي كلمة إنه العمل على القاعدة «عش»، وترك الآخرين يعيشون!!

«طلب المناشفة من الهيئة المركزية القبول بالحكمين واقترحوا عضوا من البوند وتروتسكي حكيمين، سوف يلعبان دور الحاطبة لتزويج «الأفراد والمجموعات وهيئات معينة» بدون أن يفرضوا على أحد التخلي عن «التصفوية».

«وعقلية الحاطبة هذه هي التي تشكل كل القاعدة الايديولوجية والسياسية التوفيقية لتروتسكي واينونوف»<sup>(11)</sup>.

ويضيف لينين في مكان آخر :

«إذا كان تروتسكي واينونوف اليوم يهدفان إلى التوفيق بين الحزب وبين الأشخاص والمجموعات والهيئات المينة فإنها لن يكونا بالنسبة إلينا بلشفيين أو منشفيين (معادين للتصفويين) بل خائنين للحزب لا أكثر ولا أقل»<sup>(12)</sup>.

ونجملت أيضا النظرية التروتسكية للحزب في سياسة تروتسكي الانقسامية التي قال عنها لينين :

«إن سياسة تروتسكي تتمثل في «التعاون الوثني» بين الرفاقا وكتل بوتريشوف وأتباع فيريود. الأدوار موزعة داخل هذا الكتل بصورة واضحة : بوتريشوف وأمناله يواصلون عملهم في سبيل حل الحزب السري وتكسيب الاشتراكية – الديمقراطية، والفولوسيون يشكلون فرع المهجر لهذه الكتلة، وتروتسكي يتحمل دور المحامي مُطعنا السلج على أنه «من بين التيارات داخل الحزب تبلورت سياسة اشتراكية ديمقراطية ثابتة». واستفاد أيضا منطوفو فرق فيريود من خدمات هذا المحامي الذي يدافع عن حرية مدرستهم الانقسامية ويغطي عن سياستهم بكلام مفخم مراسمي ومناق»<sup>(13)</sup>.

«إن تكتل تروتسكي وبوتريشوف والمنطوفين هو بالضبط مغامرة من وجهة نظر المبادئ»<sup>(14)</sup>.

ويضيف لينين :

«يسلك تروتسكي سياسة مغامرة من وجهة النظر التنظيمية لأنه وكما سبق أن قلنا، إن هذه السياسة تتعارض وقوانين الحزب. وتنظيمه ندوة باسم فريق في المهجر (أو باسم

(11) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 24.

(12) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 27.

(13) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 30.

(14) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 31.

كتلتين معاديتين للحزب : الفولوسيون والمنطوفون) فإن تروتسكي دخل مباشرة طريق الانشقاق»<sup>(15)</sup>.

ويعلن تروتسكي والتروتسكيون في نفس الوقت أنهم لا يمثلون كتلة وهدفهم الوحيد هو الدعاية للوحدة والتوجه إلى كافة الكتل بغاية تجاوز الحواجز الفعالة التي تعيق تحقيق الوحدة. كتب تروتسكي عمدا جريدة «الحياة العمالية» :

«لا بلشفي ولا منشفي ولكن اشتراكي ديمقراطي ثوري»<sup>(16)</sup>.

ونسي بأن الشيوعي لا يمكن أن يكون ثوريا إلا إذا تباين بكل وضوح مع كل الارهاط الانتهازية وناضل ضد الشيوعيين المزيفين وضد التصفويين وكل المعادين للحزب : هذا هو الحزب الذي تشده التروتسكية للطبقة العاملة، حزب أرضيته الايديولوجية والسياسية مبنية على أساس الوفاق الطبقي، ويعتمد الدبلوماسية المناقفة كأسلوب عمل والتكتل وتعدد المراكز مبادئ تنظيمية.

إن التروتسكية تدخل في تعارض تام مع الماركسية اللينينية فيما يتعلق بنظرية الحزب ومع الحزب من الطراز الجديد. لم يظهر ذلك في المجال النظري وحسب، بل كان قاعدة نشاط الكتلة التروتسكية المعادي للبلشفية قبل الثورة وأثناءها وبعدها. وجد تروتسكي أرضية خصبة في العناصر البورجوازية الصغيرة المترددة حبال دكتاتورية البروليتاريا، والتي تمكنت فرق منها من الانضمام للحزب في غمرة الثورة المظفرة، ومنها عدد من المناشفة والاشتراكيين – الثوريين والبريتسيين والبوندين والمنطوفين وكذلك في العناصر غير البروليتارية التي انضمت للحزب إبان الثورة. وحسب الاحصائيات الرسمية يتضح أن أكثر من 22 ألف، أي حوالي 8,5٪ كانوا أعضاء سابقين في أحزاب سياسية أخرى. وحملت هذه العناصر معها أفكارها البورجوازي الصغير وأسلوب عملها وتصوراتها مما جعلها تشكل تربة خصبة للنشاط المعادي للحزب وللسوفيئات، هذا بالإضافة إلى أن العديد منها تسلل كي يواصل عمله التخريبي من الداخل.

فكلما ازداد الصراع الطبقي حدة سواء في صد العدوان الامبريالي أو في الحرب الأهلية، أو في إعادة البناء (مع النيب) أو التقدم في البناء الاشتراكي (صناعة، فلاحه، تجارة...) كانت آراء هذه العناصر تظهر في شكل تجمعات انشقاقية تهاجم سياسة الحزب

(15) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 31.

(16) تروتسكي والتروتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتون (1937) ص 40.

(\*\*) «الحياة العمالية» جريدة شهرية «عمالية اشتراكية ديمقراطية صدرت في 1911 بباريس باللغة الروسية تحت إدارة البلاشفة التوفيقين والتصفويين».

وتتبر الاضطرابات في برنامجه ومخططاته ولولا قيادة لينين وستالين الصارمة لما تسنى للطبقة العاملة أن تبني الاشتراكية وأن ترى سلطتها النور. وكان تروتسكي ملهم هذه الجماعات وقائدها الفعلي، سواء كان ذلك بمناسبة صلح بريست ليتوفسكي، أو في النقاش العام حول النقابات وحول مسألة بناء الاشتراكية في بلد واحد، وحول الأزمة الداخلية للحزب، وكذلك في النشاط التخريبي والمعادي للسلطة السوفياتية الذي بدأت تقوم به بعد أن فقدت قاعدتها داخل البروليتاريا والشعوب السوفياتية وبعد أن فقدت صفتها كتيار داخل الطبقة العاملة.

## (2) نظرية «الثورة الدائمة» معادية للماركسية اللينينية والثورة :

أ - كيف حظّ تروتسكي من فكرة الثورة الدائمة الماركسية وأعاد لينين لها الاعتبار : كثيرا ما تردّد في أوساط اليسار، كون تروتسكي هو الذي أتى بفكرة «الثورة الدائمة» في حين أنها تعود في الأصل إلى ماركس الذي صاغها لأول مرة سنة 1850 في رسالته الشهيرة لجامعة الشيوعيين الألمان ومن بين ما ورد فيها :

«في الوقت الذي يريد البورجوازيون الصغار الديمقراطيون تحقيق أقصى ما يمكن من المطالب المعالجة لانهاء الثورة في أسرع ما يمكن فإن مصالحنا ومهمتنا تتمثل في جعل الثورة مستمرة (أو دائمة، والاضافة من عندنا)، طالما أن كل الطبقات المالكة لم تتم ازاحتها من السلطة وأن الطبقة العاملة لم تمسك بعد بالسلطة، وأن تحركات البروليتارين في أهم بلدان العالم، لا في بلد واحد فقط، لم تتطور بدرجة كافية لوضع حدّ للتنافس بين بروليتاري هذه البلدان، وأن قوى الانتاج وعلى الاقل الحاسمة لم تصبح متركزة بين أيدي البروليتارين»<sup>(17)</sup>.

إن فكرة ماركس حول الثورة الدائمة تعني، كما تبينها الفقرة التي أوردناها، السير بالثورة على مراحل تطيح بالطبقات الحاكمة الواحدة تلو الأخرى إلى أن تضع الطبقة العاملة يدها على السلطة السياسية. وعلى هذا الأساس فإن ماركس لم يضع أمام الثورة الألمانية سنة 1850 مهمة إقامة دكتاتورية البروليتاريا مباشرة بل شدّد على ضرورة البدء بالهام الديمقراطية وتوسيعها أقصى ما يمكن لكي يصل في النهاية إلى تركيز دكتاتورية البروليتاريا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنضال على النطاق العالمي، يقترح ماركس الاطاحة بكل جزء من الطبقات الحاكمة على حدة، طبقا لدرجة تطور قوى الانتاج ولدرجة التنظيم الذي بلغته البروليتاريا.

(17) مسائل اللينينية، نشر باللغة الأجنبية، موسكو 1951، ستالين ص 41.

ماذا فعل تروتسكي بفكرة ماركس حول «الثورة الدائمة». لقد استعارها منه وحرّفها فأصبحت على الصورة التالية : البدء في الثورة بدكتاتورية البروليتاريا، يقطع النظر عن درجة تطور قوى الانتاج وعن درجة تنظيم الطبقة العاملة واستعدادها. أما على النطاق العالمي فإنه لا يرى نجاحا للثورة إلا إذا قامت — على الأقل — في البلدان الأوروبية المتقدمة.

وبهذه الصورة أصبحت «الثورة الدائمة» التروتسكية غير ممكنة التحقيق في الواقع لأنها تمثل فترة في الفراغ وتعبيرا عن ارادة بورجوازية صغيرة لحرق المراحل بالشعارات والأفكار المجردة.

وأعاد لينين الاعتبار لفكرة ماركس عشية الثورة الروسية الاولى سنة 1905 في مؤلفه «خطتنا الاشتراكية - الديمقراطية». الذي شرح فيه الترابط بين مرحلتي الثورة الديمقراطية البورجوازية والاشتراكية «كحلقتي سلسلة واحدة، وكلوحة عامة لدى الثورة الروسية» على حد تعبير ستالين يقول لينين :

«بعد انجاز الثورة الديمقراطية ندخل مباشرة - في الحدود الدقيقة لقوانا وفي حدود قوى البروليتاريا الواعية والمنظمة - طريق الثورة الاشتراكية. نحن مع الثورة الدائمة (الستالين ستالين) نحن لا نقف في منتصف الطريق...»<sup>(18)</sup>.

إن لينين مع «الثورة الدائمة» الماركسية أي الثورة الدائمة على مراحل. وهو لم يفصلها الواحدة عن الأخرى بجدار صيني بل حصر شروط المروء من هذه إلى تلك بدرجة تهمى البروليتاريا وبتدرج وحدتها مع الفلاحين الفقراء.

كان لينين يخطط كي تمتد الثورة الروسية لبضع سنوات وأن لا تتوقف عند الحصول على بعض التنازلات الطفيفة من قبل الماسكين بالسلطة بل عمل على أن تستمر إلى حدّ الاطاحة بهم نهائيا. لذلك وضع أمام البروليتاريا منذ 1905 مهمات النضال الديمقراطي كقاعدة لتوسيع الثورة وتطويرها بهدف قلب القوى الرجعية الواحدة تلو الأخرى، والوصول بها في النهاية إلى دكتاتورية البروليتاريا.

بينما كان تروتسكي يريد الانطلاق من نهاية السيرة الثورة غير عابى بالمرحلة التي تمرّ بها الثورة وغير مبال بدرجة تأهب الطبقة العاملة ومدى صلاحية وحدتها مع الفلاحين الفقراء. الامر الذي يضع «الثورة الدائمة» التروتسكية في صف النظريات المعادية للماركسية اللينينية والثورة.

(18) نفس المصدر ص 163.

ب - استصغار دور الفلاحين :  
إن أهم قضية تعترض حزب الطبقة العاملة هي تحديد طبيعة المجتمع وطبقاته والعلاقة فيها بينها وبالتالي ضبط المهمات العامة للثورة ومراحلها. وهو ما عجز تروتسكي عن فهمه ولم يساعد حربه على تملكه بل على العكس من ذلك عمل على بث اللبلة والاضطراب بين صفوفه في وقت كانت فيه ثورة 1905 تدق على الأبواب، عندما طلع عليه وعلى البروليتاريا الروسية بنظرية «الثورة الدائمة» التي «أخذت من البلاشفة النداء للنضال الثوري الحازم والاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا، ومن الناشئة تفهيم لدور الفلاحين»<sup>(19)</sup>.

تؤكد هذه النظرية على أن التمايز الطبقي في الريف بلغ درجة فقد معها الفلاحون دورهم الثوري وأصبحت الثورة «الوطنية» مستحيلة الوقوع في عهد الامبريالية لأن هذه الأخيرة «لا تقابل الأمة البورجوازية بالنظام القديم، بل تقابل البروليتاريا بالأمة البورجوازية»<sup>(20)</sup> وهو يعني أن روسيا في 1905 كانت على أبواب ثورة اشتراكية لذلك رفع تروتسكي شعار «لا للقيصر، حكومة عمالية». إنه يطلب من الطبقة العاملة أن تقوم بالثورة بمفردها وبلاعتناد على المساندة الخارجية التي تقدمها لها الثورة البروليتارية المظفرة في أوروبا، وتستغنى عن الفلاحين الذين تحولوا - حسب زعمه - شيئا فشيئا إلى قوة رجعية بفعل التمايز الطبقي.

إن التمايز الطبقي ساعد في الواقع على انضاج الصراع الطبقي أكثر في الريف ووطد العلاقة بين البروليتاريا الصناعية والريفية، ورفع الوعي السياسي للعديد من العناصر التي كانت في السابق مغفورة لكن بقايا الاقطاعية القيصريّة مازالت قوية وتأثيرها على النضال الطبقي بارز بشكل لا يمكن حجبها بالجمال الثورية النقية والاعلانات «الصارمة». لذلك يبقى دور الفلاحين قائما في الثورة. وهو ما دفع بالبلاشفة إلى تعبئة الطبقة العاملة والشعب للنضال في سبيل الجمهورية وانتزاع أراضي الملاكين العقارين الكبار والاقطاعيين. إن البلاشفة لم يبدوا ظهورهم للنضال الديمقراطي البورجوازي لأنهم يقدرون طاقات الفلاحين الثورية حتى قدرها ويعملون على استعماها إلى جانب الطبقة العاملة للاطاحة بالطبقات الرجعية الواحدة تلو الأخرى إنهم يعملون على «تشريك الجماهير

(19) تروتسكي والترسكية ص 11.  
(20) نفس المصدر ص 11.

الشيوعية غير البروليتارية لتحرير روسيا البورجوازية من الامبريالية والاقطاعية - العسكرية (يعني القيصريّة)<sup>(21)</sup>.  
كان لينين يقدّر الطاقات الثورية الكبيرة للفلاحين حتى قدرها للاطاحة بالنظام القيصري وإقامة الجمهورية الديمقراطية والمزور بها سريرا إلى الثورة الاشتراكية بينما يحقّر تروتسكي من دورهم ومن طاقاتهم الثورية ولا يرى لهم مكانا في الثورة ولا امكانية للطبقة العاملة كي تجرهم وراءها وتقود نضالهم.

وبهذه القطيعة التي يفترها تروتسكي بين البروليتاريا والفلاحين و«الجماهير الشعبية» مهرب البروليتارية يحكم على الثورة بالعدم ويتركها محصورة في نطاق الجملة والخطاب الثوري»، «شدّيد النقاوة» يحكم على الفلاحين بالبقاء احتياطيا للبورجوازية وجيشها الجرار، وبالتالي ادامة الاستغلال والاضطهاد الرأسماليين والوقوف عمليا ضدّ الثورة.

ج - «الثورة الدائمة» والاشتراكية في بلد واحد

ترتكز اللبينية على امكانية قيام الثورة في بلد واحد، لان التطور غير المتساوي للبلدان الرأسمالية في المرحلة الامبريالية ونمو التناقضات وتفاقمها يؤدي حتما إلى مزبد تعمق النظام الرأسمالي العالمي وتسارع أزماته الدورية وشمولها كافة فروع الاقتصاد وكافة أوجه الحياة العامة ، وتصنع الحروب الاقليمية والعامة محتمة، وبالتقابل تنمو الحركة الثورية للطبقة العاملة والشعوب والأمم المضطهدة، وبذلك تصبح إمكانية قطع السلسلة في حلقة من حلقاتها أو في حلقات متعددة مسألة ممكنة الوقوع عندما تتوفر الشروط المناسبة لذلك. كان لينين ضبط بوضوح نادر في مؤلفه «اليسارية مرض الشيوعية الطفولي»:  
«إن القانون الجوهري للثورة، الذي أثبتته كل الثورات وخصوصا الثورات الروسية الثلاثة للقرن العشرين هو : لكي تقع الثورة ينبغي أن تمي الجماهير المستغلة والمضطهدة باستحالة العيش كما في السابق وتنشد التغيير، لكي تقع الثورة ينبغي أن يستحيل على المستغلين العيش والحكم كما في السابق... وقتها فقط يمكن للثورة أن تنتصر...»<sup>(22)</sup>.

وبما أن الثورة أصبحت في عهد الامبريالية والثورة الاشتراكية ممكنة الحدوث في بلد واحد، وبما كان البروليتاريا الوصول إلى السلطة فهذا يعني أن الاشتراكية ممكنة التحقيق

(21) نفس المصدر ص 12.  
(21) تروتسكي والترسكية ص 11.  
(22) نفس المصدر ص 12.

في بلد واحد، وبالإمكان تطويرها بصفة مستمرة بالاعتماد على القوى الذاتية لبلد الثورة المظفرة إلا أن تروتسكي نفى بالمقابل ومن ورائه المعارضة الميمنية إمكانية انتصار الثورة في بلد واحد، وإمكانية بناء الاشتراكية أيضاً، كتب تروتسكي في 1906 يقول :

«لا يمكن للطبقة العاملة الروسية أن تحول هيمنتها الظرفية إلى دكتاتورية اشتراكية دائمة إذا لم تتلق مساعدة دولية مباشرة من قبل البروليتاريا الأوروبية. ولا يجب أن يساورنا الشك في ذلك لحظة واحدة»<sup>(23)</sup>.

إن تروتسكي لا يستصغر دور الفلاحين في الثورة - كما سبق أن ذكرنا - بل يحقر أيضاً من الطاقات الثورية للطبقة العاملة في عملية الاطاحة بالبورجوازية وتركيز سلطتها وبناء الاشتراكية. إنه يقول على الثورة المظفرة في أوروبا، أي على المدد الخارجي لانه اعتبره العامل الحاسم في الانتصار النهائي. ومن هذا المنطلق أجل الاطاحة بسلطة الطبقات الرجعية والقضاء على النظم الاستغلالية إلى ما بعد انتصار البروليتاريا في البلدان الرأسمالية المتقدمة. وهكذا ربط تروتسكي مع النظريات الانتهازية لرعاة الاممية الثانية القائلة باستحالة انتصار الثورة البروليتارية في غير البلدان الرأسمالية المتقدمة. كتب تروتسكي في كراس أصدره عام 1917 بعنوان «برنامج السلم» يقول :

«إن الثورة المظفرة في روسيا أو في بريطانيا يكون ادراكها غير ممكن بدون الثورة في ألمانيا، والعكس بالعكس»<sup>(24)</sup>.

ويتخذ تروتسكي اللبينية حول إمكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد زاعماً أن نجاح الاشتراكية لا يمكن أن يكون مضموناً إلا في نطاق «الولايات المتحدة الأوروبية» يقول :

«إن المعارضة التاريخية للموسم نسبياً لشمار الولايات المتحدة كانت مصاغة في الاشتراكي - الديمقراطي السويسرية. بهذه الكلمات : «إن التطور الاقتصادي والسياسي اللامتكافئ هو قانون مطلق للرأسمالية وخرجت الاشتراكي - الديمقراطي بالنتيجة التالية : إن انتصار الاشتراكية في بلد واحد ممكن الوقوع. وبناء على ذلك فإنه من غير المجدي ربط دكتاتورية البروليتاريا في كل بلد بتكوين الولايات المتحدة الأوروبية. أن يكون التطور الرأسمالي لمختلف الدول غير متكافئ، هذه مسألة لا جدال فيها لكن عدم التكافؤ هو نفسه غير متكافئ. فالمنزوى الرأسمالي لبريطانيا والنمسا وألمانيا أو فرنسا ليس

(23) مسائل اللبينية، ستالين ص 130 .

(24) تروتسكي والترسكية ص 16 .

نفسه. ومقارنة بأفريقيا وآسيا كل هذه البلدان تمثل «أوروبا» الرأسمالية الناضجة للثورة الاشتراكية. ليس مطروحا على أي بلد أن «يتقرب» في فضاله البلدان الاخرى، وهي فكرة بسيطة وأولية من الضروري والفيد تكرارها لكي لا نموض فكرة العمل الأممي بفكرة الجمود الأممي المتوقعة. ونبدأ ونواصل النضال على النطاق الوطني، بدون انتظار الآخرين، مع اقتناعنا التام أن يادرتنا سوف تعطي دفعا للنضال في البلدان الاخرى . والحالة هذه فإذا لم يحدث ذلك، لم يعد من أمل في الاعتقاد أن روسيا الثورية مثلاً - والتجربة التاريخية والاعتبارات النظرية تثبت - يمكنها أن تقف في وجه أوروبا الرجعية، أو أن ألمانيا الاشتراكية يمكنها أن تبقى معزولة في العالم الرأسمالي»<sup>(25)</sup>.

يلاحظ القارئ كيف تظهر تروتسكي بالقبول بنظرة لينين للعصر وإمكانية قيام الثورة وانتصارها في بلد واحد واعتبرها من المسلمات، وأضاف من عنده بعض الجمل النفضاضة، ثم بدأ يتراجع ويكشف عن وجهة نظره الحقيقية بدون أقنعة حين يؤكد أن الثورة المنتصرة لا يمكن لها أن تعيش إلا إذا انتصرت في «أوروبا». وهكذا يكون قد غرق في الانزمام فدعا روسيا الثورية الى إلقاء سلاحها أمام «أوروبا» الرجعية التي لم تنتصر الثورة فيها بعد.

لقد أعاد تروتسكي في 1922 توضيح نظريته حول الثورة في ملحق «برنامج السلام» يقول :

إن التأكيد القائل إن الثورة البروليتارية لا يمكنها أن تنتهي بنصر على النطاق الوطني وهو تأكيد تكرر مرارا عديدة في برنامج السلام وربما يبدو لبعض القراء قد كذّبه تقريبا التجربة الحماسية لجمهوريتنا السوفياتية. لكن هذا الاستنتاج لا أساس له من الصحة. إذ أن وجود دولة عمالية في بلد واحد، بلد متخلف وقفت في وجه العالم أجمع، يؤكد قوة البروليتاريا الجارية التي بإمكانها، في البلدان الاخرى الاكثر تقدما والاكثر تحضرا ان تحقق المعجزات لكن بقاءنا سياسيا وعسكريا كدولة لم نتوصل الى بعث مجتمع اشتراكي أو حتى الاقتراب منه... وطالما أن البروجوازية ماسكة بالسلطة في البلدان الأوروبية الاخرى نحن مجبرون، في النضال ضد الحصار الاقتصادي، ان نبحث على عقد اتفاقات مع العالم الرأسمالي، وبإمكاننا القول، في نفس الوقت، وبكل تأكيد أن هذه الاتفاقات بإمكانها (في أحسن الحالات) مساعدتنا على تضميد هذا الجرح الاقتصادي أو ذاك، أو على القيام بهذه

(25) مسائل اللبينية، ستالين ص 131 - 132 .

انتصرت الثورة الاشتراكية في أكتوبر 1917 لأن البروليتاريا تمكنت من كسب هذا الاحتياطي الهائل الى جانبها ونسجت معه تحالفا متينا وتزعمت نضاله في المدينة والريف بلون منازع.

إن من لم يفهم هذه الحقيقة لا يمكنه أن يفهم شيئا من الثورة ولا من دكتاتورية البروليتاريا.

كان التحالف بين العمال والفلاحين الضامن الاساسي لنجاح الثورة وسحق مقاومة الرجعية والبرجوازية وعماد دكتاتورية البروليتاريا، وهو الضامن أيضا لصيانتها من خطر «العودة»، ولبناء الاشتراكية وتطويرها باستمرار والارتقاء بها الى درجات أعلى.

نأتي الان للنظرية التروتسكية حول دكتاتورية البروليتاريا، ونبدأ باستشهاد أورده ستالين في مؤلفه «مسائل الليبنية» من مقدمة كتبها تروتسكي عام 1922 لكتابه «فورتنا» الصادر في 1905 :

«في الحقيقة الفاصلة بين 9 جانفي وإضراب أكتوبر 1905 بالتحديد، تكونت لدى المؤلف المفاهيم حول التطور الثوري لروسيا التي تميزت تحت اسم نظرية «الثورة الدائمة».

وهذا التميز المسموع يعبر عن فكرة أن الثورة الروسية، التي تقف أمامها مباشرة أهداف بورجوازية لا يمكنها البقاء عند هذا الحد. إن الثورة لا يمكنها تحقيق أهدافها البرجوازية المباشرة إلا إذا حلت البروليتاريا الى السلطة. لكنها عندما تمسك بالسلطة لا تتوقف في الحدود البرجوازية للثورة. بالعكس، ومن أجل ضمان انتصارها ينبغي على الطبقة البروليتارية، وبالتحديد منذ الايام الاولى لهيمنتها، أن تقوم بهجمات عميقة لا تحسب على الملكية الاقطاعية بل وأيضاً البرجوازية. وهذه الصورة تدخل في صدامات مدائية لا فقط مع كل تجمعات البرجوازية التي كانت ساندتها في بداية نضالها الثوري ولكن أيضاً مع الجماهير العريضة للفلاحين التي حملها سير الأحداث الى السلطة. إن التناقضات في وضع حكومة عمالية، في بلد متخلف أين تكون الاغلبية الساحقة من الشعب مكونة من فلاحين، يمكن أن تجد حلولاً لها فقط على النطاق العالمي في مضمار الثورة البروليتارية العالمية (السطير لستالين)»<sup>(26)</sup>

هذه آراء تروتسكي واضحة لا غبار عليها، فدكتاتورية البروليتاريا بالنسبة له صدام عدائي بين الطبقة البروليتارية والجماهير العريضة للفلاحين، بينما يؤكد لينين على أن فاعلتها هي تحالف العمال والشرائح الشغيلة من الفلاحين.

(26) نفس المصدر ص 127.

الخطوة الى الأمام أو تلك. لكن النمو الحقيقي للاقتصاد الاشتراكي في روسيا لا يمكن أن يتحقق إلا بعد انتصار البروليتاريا في البلدان الاوروبية الأساسية.<sup>(26)</sup> أصبح تروتسكي أكثر وقاحة من ذي قبل فكشف عن وجهه الحقيقي ولم يعد يبحث عن التحفي وراء لينين إذا أعلن من البداية أن الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لم تتحقق بعد وأن المجتمع السوفياتي لم يبدن قيد أنملة من المجتمع الاشتراكي فوضع آمال التقدم الاقتصادي على البلدان الرأسمالية الأوروبية في انتظار انتصار البروليتاريا فيها. ترى ما عساه أن يقترح علينا لو لم تنتصر الثورة في هذه البلدان في الغد المنظور. إنه لم يترك أمام روسيا النائرة وأمام دكتاتورية البروليتاريا غير طريق واحد هي طريق التفتش والعودة الى الزراء الى النظام الرأسمالي والانحناء أمام البرجوازية.

ليس من الغريب عليه هذا التفكير والسلوك السياسي إذا عرفنا أنه بدأ ينظر لتفتش الحزب البلشفي والدولة السوفياتية ويعلم عن تنبؤاته بالانهيار الحتمي لاقتصاد البلاد. لذلك بدأ يضع بعيد الثورة أسس الاستسلام والتراجع أمام البرجوازية.

د - التروتسكية ودكتاتورية البروليتاريا : قبل أن نعرف على نظرية تروتسكي لدكتاتورية البروليتاريا نستعرض أولاً الفكرة الليبنية التي أثبتتها ثورة أكتوبر. يقول لينين بهذا الصدد :

«إن دكتاتورية البروليتاريا هي شكل خاص لتحالف طبقي بين البروليتاريا، طبقة العمال والشرائح العديدة غير البروليتارية من الشغاليين (بورجوازية صغيرة أعراف صغار، فلاحون مثقفون... الخ) أو أغلب هذه الشرائح، تحالف موجه ضد رأس المال، تحالف له هدف الاطاحة التامة برأس المال، وسحق مقاومة البرجوازية ومحاولات عودتها سحفاً تاماً، تحالف له هدف تشييد وتوطيد الاشتراكية بصورة نهائية...»<sup>(27)</sup> لقد ظهرت السلطة السوفياتية، شكل دكتاتورية البروليتاريا، في روسيا على قاعدة التحالف بين البروليتاريا وجماهير الفلاحين بقيادة الاولى. ولم ينشأ هذا التحالف بصفة عفوية بل كان ثمرة نضال الحزب البلشفي طوال الفترة الفاصلة بين ثورة 1905 وثورة 1917 التي توصل فيها الى سحب الفلاحين من تأثير الاحزاب البرجوازية، فتحولوا بذلك من احتياطي للبرجوازية، الى احتياطي للطبقة العاملة.

(26) نفس المصدر ص 133 - 134.

(27) نفس المصدر ص 123.



يتحدث تروتسكي عن «تناقضات الحكومة العمالية» في البلد المتخلف الناجمة عن تكون أغلبية الشعب من الفلاحين - في حين يؤكد لينين على دور البروليتاريا القيادي للشعب الشغل.

إن تروتسكي لا يرى إمكانية أو أفقا لحل «تناقضات الحكومة العمالية» في بلد مختلف، إلا في نطاق الثورة العالمية «وخارج هذا النطاق تبقى «الحكومة العمالية» تتخطى تناقضاتها وهي تتقرب الثورة الآتية من أوروبا. وللقابل يعول لينين على الطاقات الثورية للبروليتاريا وعلى تحالفها المتين مع شغيلة المدينة والريف لتشييد المجتمع الجديد، المجتمع الاشتراكي.

ويمكن تلخيص مفهوم تروتسكي لدكتاتورية البروليتاريا على الصورة التي قدمها ستالين :

«إن دكتاتورية البروليتاريا هي السلطة التي تدخل في «صدامات عدائية» مع الجماهير العريضة للفلاحين» والتي تبحث عن حلول «للتناقضات» في مضمار الثورة العالمية للبروليتاريا فقط»<sup>(28)</sup>

وهكذا يتضح أن نظرية «الثورة الدائمة» التروتسكية ليست استغفارا للدور الفلاحين في الثورة وحسب بل هي أيضا نفى لتحالف العمال والفلاحين وعدم ثقة في الطاقات الثورية للطبقة العاملة. لذلك بقي رأس تروتسكي ملوئا نحو الخارج طوال حياته. تحج، الثورة العالمية عندما كان يمثل نزعة ثورية بورجوازية صغيرة في صلب الطبقة العاملة ثم تحج، البورجوازية العالمية عندما فقد ثورته.

هـ - مكانة ثورة أكتوبر لدى التروتسكية : «الثورة الدائمة» استراتيجيا مغامرة للثورة العالمية :

تكمين أهمية ثورة أكتوبر في بعدها العالمي، علاوة على أنها أطلحت بأعنى الرجعية في أوروبا والعالم وركزت لأول مرة في التاريخ سلطة الطبقة العاملة وفتحت عهد بنا الاشتراكية. وأكدت باللموس أن الثورة المظفرة ممكنة الوقوع في بلد واحد حتى وإن كان متخلفا، وأن الاشتراكية بإمكانها أن تشيد في بلد واحد حتى وإن كان بلدا متخلفا أيضا. إن الأهمية التاريخية لثورة أكتوبر تكمن في كونها مثلت الخطوة الأولى للثورة العالمة وقاعدة تطورها المستقبلي، خلافا لزماعم الانتهازيين التي تعتبرها مجرد ظاهرة عملية ولا تعد النموذج للبروليتاريا العالمية وحسروا الليبنية في النطاق الروسي وأظهروا أنفسهم أبطا

(28) نفس المصدر ص 127

الثورة العمالية. بينما يؤكد الليبنية أن الثورة المظفرة في بلد واحد ينبغي أن لا تكون كيانا لها حد ذاته ولذاته، بل يجب أن تكون دافعا للثورة العالمية لانتصار البروليتاريا في البلدان الأخرى.

لم ير الانتهازيون بمختلف تلوّناتهم الدفع الذي أعطته ثورة أكتوبر العظمى للثورة العالمية عندما وسعت وعمقت نضال البروليتاريا ضد رأس المال ونضال الشعوب والأمم المضطهدة المعادي للإمبريالية كما أنهم لم يفهموا التحولات التي أحدثتها ثورة أكتوبر في العالم أصبح التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية أحد التناقضات الأساسية الأربعة التي تعصرنا : عصر الإمبريالية والثورة الاشتراكية.

إن عدم فهم تروتسكي لاهمية ثورة أكتوبر وللسلطة التي انبثقت عنها وللدور التاريخي أصبحت تلعبه على النطاق المحلي والعالمي، وهو الأمر الذي أدى به إلى الاستهتار بالهامة صالح بريست ليتوفسكي معرّضا الجمهورية السوفياتية الفتية مجددا إلى خطر العدوان الإمبريالي، وهي في وضع لا يسمح لها بصدّه، فرفع شعار «لا حرب لا سلم». ثم ألهمه بوخارين زعيم كتلة «الشويعيين اليساريين» بنظرية «الحرب الثورية الفورية ضد الإمبريالية» التي جعل منها إحدى مكونات «الثورة الدائمة» وأوجد لها مبررات في «التفسيخ والانهار الملغين» للرأسمالية وفي إمكانية حدوث نصر سريع للثورة في البلدان الأوروبية وشأن جمل يحصر دور الثورة، ثورة أكتوبر والسلطة المنشقة عنها في الاسراع بالثورة العالمية وشأن «حرب ثورية» فورية ضد النظام الرأسمالي العالمي بهدف الاطاحة به. في هذا السياق فقط مهم تروتسكي ملول ثورة أكتوبر.

إن رفع شعار «الحرب الثورية» ضد ألمانيا لمساعدة الثورة فيها وضد الإمبريالية العالمية مباشرة بعد ثورة أكتوبر، يعدّ شعارا مغامرا ظاهريا ويخفي انهزامية واستسلاما أمام البورجوازية.

لقد أقصع بوخارين عن هذه الفكرة عندما أخذ الكلمة في المؤتمر السابع الاستثنائي للحزب البلشفي، متكلما باسم المعارضة وباسم تروتسكي نفسه، وأعلن :

«إننا نستطيع أن نتقبل نتيجة حرب فورية ضد الإمبرياليين»<sup>(29)</sup>

وفي نفس الوقت أعلن أن رفض خوض حرب فورية يعني أنه :

«لا يوجد أي أمل على الاطلاق»<sup>(30)</sup>

(29) و (30) نضال الحزب البلشفي ضد التروتسكية - نجة من المؤلفين برئاسة الأستاذ اغنايف، ترجمة لهيب حضور، دار دمشق ص 22.

ورفض بشكل قطعي زرعها عن طريق الحرب واعتبر أن كل فكرة تدعو لذلك تعد تناقض كلي مع الماركسية يقول لينين :

«إن محاولات فرض الاشتراكية بقوة السلاح على الاقطار الاخرى ترقى الى مستوى انفصال النهائي عن النظرية الماركسية كما أنها إنكار مطلق لقوانين نضال البروليتاريا البلطي»<sup>(31)</sup>

ويضيف في مكان آخر :

«لا نستطيع إسقاطهم من الخارج عن طريق الحرب. ولكننا نستطيع من الخارج أن نزع تمزقهم الداخلي وقد حققنا ذلك بشكل غير محدود بواسطة الثورة الروسية البروليتارية»<sup>(32)</sup>

وعلى هذا الاساس اعتبر أن مسألة :

«حماية الجمهورية التي بدأت على الفور الثورة الاشتراكية هي القضية الأكثر أهمية بالنسبة لنا وللحركة الاشتراكية العالمية»<sup>(33)</sup>.

أما تروتسكي فقد استهان بقضية بناء الاشتراكية وقبل وضع مصير السلطة السوفياتية في خطر عندما أعلن الحرب الثورية ضد العالم الرأسمالي من أجل الاسراع بالثورة العالمية. وبهذه الصورة تحول شعار «الحرب الثورية» الى هوس لدى التروتسكيين، و«الشيوعيين اليساريين» واستراتيجية مغامرة ومثيرة للحرب.

مر تروتسكي وأتباعه من استنفاص أهلية ثورة أكتوبر فحصروها في نطاق ضيق كطاهرة عملية روسية أو كمجرد فتيل للثورة العالمية لا أكثر ولا أقل. ووصل بهم الامر في النهاية الى موقف مغامري استفزازي يدعو الى «الحرب الثورية الفورية» ضد ألمانيا وبقية العالم الرأسمالي لاعطاء دفع للثورة العالمية والاسراع بها» وسجلوا بذلك قطعة مع الماركسية اللينينية وعرضوا بلد دكتاتورية البروليتاريا الاول الى الخطر والعدوان.

### III. التروتسكية معادية للثورة على طول الخط :

كنا نعرضنا للتعريف بتروتسكي ونظريته وممارسته السياسية وبينما معارضته الكاملة للماركسية اللينينية ونختم مجادلنا للتروتسكية باستشهاد لستالين نعتقد أنه كاف لحوصلة

(31) نفس المصدر ص 31.

(32) نفس المصدر ص 31.

(33) نفس المصدر ص 20.

وفي المؤتمر أعلن تروتسكي أن أصحاب «الحرب الثورية» ضد ألمانيا قد اتخذوا أكر. المواقف صحة وكانت أغلبية الحزب و لينين العقبة الوحيدة أمام إعلان هذه الحرب وأعلن أنه :

«مهما ناورنا، ومهما اتبعنا من تكتيكات فإن الثورة الأوروبية هي وحدها، بالمعي الكامل للكلمة بإمكانها أن تنقذنا»<sup>(34)</sup>

وردة لينين على دعاوي تروتسكي والمعارضة حين أعلن بعيد ثورة أكتوبر :

«إن الحرب حتمية ويجب الاستعداد لها... إن التروتسكيين يخطئون عندما يتظرون الى شعار الحرب الثورية نظرة مجردة، متجاهلين ميزان القوى الطبقي داخل البلاد وعلى الصعيد العالمي»<sup>(35)</sup>

إن شعار الحرب الثورية الفورية هو شعار يساري مغامر لا يأخذ بعين الاعتبار واقع الدولة السوفياتية وواقع البلاد المهزلة بالحرب والحصار كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار الحالة الدقيقة التي عليها قوى الثورة العالمية، وتطور مختلف التناقضات التي تحكم العصر. لم يرفض لينين الحرب الثورية في المطلق بل ربط القبول بها أو رفضها بمدى خدمتها للثورة فأكد خلال ثورة 1905 :

«إن الخبرة التاريخية أثبتت أن الحروب الثورية في ظل الرأسمالية ليست فقط ممكنة.

بل في الحقيقة اتجاه إيجابي ولهذا فإنه على البروليتاريا أن لا تتجنب الاشتراك في مثل هذه الحروب وينبغي عليها اعتبارها حروبا عادلة»<sup>(36)</sup>

وبذلك سحب البساط من تحت أقدام التروتسكيين وكشف مزايدهم اللغظية بالحرب الثورية. وخاضت دولة دكتاتورية البروليتاريا حروبا من هذا الطراز ضد الامبريالية الألمانية وحلفائها بعيد ثورة أكتوبر ثم ضد النازية في الحرب العالمية الثانية، واستعملت قوتها العسكرية لمساعدة الشعوب في سبيل تحررها وانقاذها من رقة حاكميها مثال الديمقراطية الشعبية في أوروبا الشرقية.

لم يرفض لينين بصفة مطلقة الحرب الثورية لكنه رفض «دفع» الثورة من الخارج. وشجب فكرة تصديرها وأكد على أنها يجب أن تكون نتاج تفاقم التناقضات الداخلي. للمجتمع التي تسير نحو حل ثوري.

(31) نفس المصدر ص 17.

(32) نفس المصدر ص 25.

(33) نفس المصدر ص 24.

## الجزء الثاني

### «الشيوعيون الثوريون» في تونس

#### «الشيوعيون الثوريون» في تونس (مجموعة نصيرة للأمية الرابعة التروتسكية)

تقديم :

سوف نقسم هذا الفصل الى أربعة أجزاء وهي كالآتي :

- 1 - «الشيوعيون الثوريون» ونظرية الحزب
- 2 - «الشيوعيون الثوريون» وطبيعة الثورة القادمة
- 3 - «الشيوعيون الثوريون» والقوى المحركة للثورة
- 4 - «الشيوعيون الثوريون» والتحريرية الجديدة

ونحاول من خلالها الرد على أهم القولات النظرية والسياسية «للشيوعيين الثوريين» لقد اعتمدنا الأعداد السبعة من «الشرارة» وعلى عدد من مجلة «المطرقة» وعلى كراس بعنوان «مسائل النهج الثوري» (مناقشة لأطروحات رابطة العمل الشيوعي السوري) أصدرها المكتب التنفيذي للجمعية الشيوعي الثوري (لبنان)، وأخيرا على نص نظري موجه الجماعة بعنوان «المركزية الديمقراطية والمركزية البيروقراطية» لغسان ماجد.

الحكم الجوهري على التروتسكية وموقف الماركسية اللينينية حيالها. يقول ستالين :  
تعتقد فئة من البلاشفة أن التروتسكية جزء من الشيوعية، إلا أنها والحق يقال تخطف، وتقوم بحماقات عديدة وأحيانا معادية للشيوعيات أيضا. ولكنها مع ذلك تمثل جزءا من الشيوعية. وهذا يعني نوعا من الليبرالية حيال التروتسكيين وأصحاب الفكر التروتسكي ومن البديهي أن مثل هذا الرأي حول التروتسكية خاطئ تمام الخطأ ومضّر، إن التروتسكية في الواقع ومنذ زمن بعيد توقفت على أن تكون جزءا من الشيوعية، وهي في الواقع فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة، التي تناضل ضد الشيوعية وضد سلطة الشيوعيات وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي. من أعطى للبورجوازية المعادية للثورة سلاحا روحانيا وإيديولوجيا ضد البلاشفة في قالب أطروحات حول استحالة بناء الاشتراكية التام في بلدنا وحول التفسخ الحتمي للبلاشفة... هذا السلاح أعطته التروتسكية وليس من قبيل الصدفة أن تستبعد كل التجمعات المعادية للشيوعيات، في الاتحاد السوفياتي، في محاولات لتبرير صراعها ضد سلطة الشيوعيات بالأطروحات التروتسكية المعروفة جيدا حول استحالة البناء الكامل للاشتراكية في بلدنا وحول التفسخ الحتمي لسلطة الشيوعيات والعودة المحتملة للرأسمالية.

من ذا الذي أعطى بورجوازية الاتحاد السوفياتي المعادية للثورة سلاحا تكتيكيا في شكل أعمال مكتوفة ضد سلطة الشيوعيات ؟ هذا السلاح أعطاه إياه التروتسكيون عندما حاولوا تنظيم مظاهرات معادية للشيوعيات في موسكو ولينينغراد، في 7 نوفمبر 1927 وهي حقيقة واقعة. إن مظاهرات التروتسكيين المعادية للشيوعيات أعادت الشجاعة للبورجوازية وأعطت إشارة الانطلاق للتخريب الذي قام به الاخصائيون البورجوازيون.

من الذي أعطى البورجوازية المعادية للثورة سلاحا تنظيميا تمثل في بعث تنظيمات سرية معادية للشيوعيات ؟ هذا السلاح أعطاه إياه التروتسكيون عندما نظموا فريقهم الخاص غير القانوني المعادي للبلاشفة. وهي حقيقة واقعة أن العمل السري للتروتسكيين المعادي للشيوعيات سهل التجميع المضوي للفرق المعادية للشيوعيات في الاتحاد السوفياتي. إن التروتسكية هي فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة. وعلى هذا الاساس فإن الليبرالية إزاء التروتسكية، حتى المهزومة والمستترة، تمد حماقة تناخم الاجرام والحياة تجاه الطبقة العاملة»<sup>(37)</sup>

(37) مسائل اللينينية، ستالين ص 545 - 546.

## 1 - «الشيوعيون الثوريون» ونظرية الحزب :

### 1 - حول مسألة تأسيس الحزب

يخضع بحث حزب شيوعي للطبقة العاملة الى تخطيط دقيق يضبطه الشيوعيون (الماركسيون اللينينيون لأنفسهم يركزون على ثلاثة محاور اساسية كان وضوحها لينيون في احدى رسائله الى هيئة تحرير الايسكرا (المجلد الرابع) اعتمدها الشيوعيون الحقيقيون في صراعهم الايديولوجي ضد الشيوعية والفوضوية وهذه المحاور هي :

أ - الوحدة الايديولوجية بين الشيوعيين الحقيقيين مهما كان عددهم

ب - دعم هذه الوحدة ببرنامج عام

ج - بناء الاطار التنظيمي على اساس مبادئ المركزية الديمقراطية البروليتارية وتحقيق هذه الاهداف يشترط توفر نواة صلبة موحدة كأروغ ما تكون الوحدة - على حد تعبير لينين - تصدر دورية تكون القائد الفعلي لعملية انجاز هذا المشروع التاريخي للطبقة العاملة، كما يشترط توفر حد ادنى من الروابط بالطلائع العمالية والشعبية، وهذا يعني ضرورة ارساء نشاط على النطاق الوطني للحزب المنشود،

لتعرف على آراء الجماعة التروتسكية في هذا الشأن :

أولاً : لا يملك «الشيوعيون الثوريون» مخططاً واضحاً ودقيقاً لعملية تأسيس الحزب، يقولون : «اننا لا ندعي معرفة سبيل بناء هذا الحزب بصورة دقيقة الى الآن»<sup>(38)</sup> . وهو ما يجعلهم يسببون والحركة الشعبية على نفس النهج العفوي والذليل حيال الحركة الجماهيرية كانت الحركة الشعبية رفعت هي الأخرى شعار بحث حزب للطبقة العاملة منذ نشأتها الا انها اندثرت (فصائلها الاساسية) ولم توفر ادنى الشروط الضرورية لذلك.

وغياب التخطيط الدقيق والملموس كان من بين الاسباب الرئيسية التي ادت بها الى مثل هذا الحال وتروتسكيوناً عاودهم الحزن الى رفع نفس الشعارات مع بعض الاختلافات في الارضية الايديولوجية والسياسية.

وغياب التخطيط لا يعود الى وجود انحراف عفوي كالذي طبع مشروع الحركة الشعبية بل يعود الى الفكر الذي قاد ويقود «الشيوعيين الثوريين» .

ثانياً : وضع لينيون الوحدة الايديولوجية بين الشيوعيين الحقيقيين في المقام الاول باعتبارها القاعدة الثابتة التي يقوم عليها النشاط السياسي والعمل، مع اعتقاده انها غير كافية.

(38) الشرازة عدد 3 - ص 8

لوحدها لذلك اضاف لها شرطين (البرنامج والمبادئ التنظيمية)، في حين يرى جماعة «الشرازة» :

«اننا نعي جيداً ان التنظيم او الحزب الثوري يقوم على برنامج قبل كل شيء»<sup>(39)</sup>

وهذا يعني انهم يضعون «السياسي في مركز القيادة» اي ان الخلافات الايديولوجية وحتى اللاهية ليست حاجزاً امام الانشاء لحزب شيوعي ماركسي لينيني واحد، اذ يكفي ان نعلن اننا، للفكر الماركسي وان نكون على اتفاق حول برنامج عام واحد.

وليس غريباً مثل هذا التفكير المنافي لللينينية على «الشيوعيين الثوريين» والكل يعرف

انهم انضموا الى «التجمع الاشتراكي» توهماً منهم لدعم «وحدة اليسار» و«توفير شروط بناء حزب ماركسي ثوري» ثم انسلخوا عنه بعد مدة واصدروا بياناً توضيحياً نشرته مجلة الموقف

يهدعون فيه انهم خدعوا في اهداف «التجمع» ونواياه الحقيقية وطبيعته، لكن هل يجذع «شيوعيون ثوريون» في «التجمع» لو وضعوا الايديولوجيا في مركز الصدارة ؟ وهل كان من الممكن ان يتخذوا لو كان في برنامجهم ما يميزهم عن السياسة الاصلاحية التي يتبناها «التجمع» ؟

وتظهر نظرتهم الجمعية في طرحهم لمهمة تأسيس الحزب عندما جعلوها مهمة «اليسار الماركسي» يختلف فروعهم يقطع النظر عن خلافاتها الايديولوجية والنظرية والسياسية، وافصحوا عن ذلك في شرح منهجية تقييم تجربة «اليسار» .

«وفي منهجية التقييم نقول اننا باعتبارنا تياراً نظرياً وسياسياً يقف على طرف الاختلاف على نقاط استراتيجية هامة مع التيارات اليسارية الاخرى فسوف لن نبسط موطن العلل الى درجة اعتبار ازمة اليسار ناتجة عن عدم تبنيهم لنظرية الثورة الدائمة او لاطروحة الانحطاط البروقراطي في الاتحاد السوفياتي لتصبح الوصفة مبتذلة ويصبح التيار التروتسكي حبل النجاة، وندعو الجميع للاعتصام به، ان هذا الجانب على اهمية (وستتناوله بالتفصيل)، لن يكون الخط الموجه لتقييمنا والحال ان هناك اسباباً اعماق للأزمة»<sup>(40)</sup> . وفي مكان آخر نقراً لهم :

«وفي ما يخصنا فإننا واعوان بأن كل هذه الصعوبات التي يعاني منها اليسار الثوري لن نحمل بين عشية وضحاها، ونحن كذلك لا ندعي اننا متجاوزون لهذه الصعوبات وان

(39) «الطرق» عدد 2 - ص 48

(40) نفس المصدر السابق - ص 47 - 48

تجاوزها سيكون نتاج سيرة معقدة تكون نيتها الإيجابية بالضرورة رهينة عزيمته هذا اليسار»<sup>(41)</sup>.

يظهر من خلال هذين الاستشهادين أن تروتسكين لا يولون أهمية تذكر للجوهر الطبقي الذي يميز حيزهم المشهود، أي أساسه الأيديولوجي والنظري وحتى السياسي (من الوجهة الاستراتيجية) فتجدوا من «الخط الموجه» في تقييمهم لتجربة «اليسار الثوري» أي من القاعدة الأيديولوجية والنظرية التي تقودهم - وهم يعلمون اليسار التواضع - حاولوا فتح الطريق أمام الفصائل الأخرى للأقدام على الخطوة «الشجاعة» التي أقدموا عليها. ولا يمكن لهذه الخطوة أن تكون إيجابية - حسب اعتقادهم - إلا إذا توفرت العزيمة «الصادقة» لدى كل الفصائل، أنهم لا يطلبون منها «شيئا غير التنظيم» ولا شيء آخر غير التنظيم رغم معرفتهم بالخلافات الجوهرية الأيديولوجية والنظرية والسياسية وحتى العملية التي تفرق بينها.

إن التوجه لليسار على هذا النحو يعبر عادة عن شعور ارادي وبدائي لدى مناضلين عديمي الوعي لا يقدرّون على التمييز بين الأطروحات المتقابلة ولا على فهم البعد الأيديولوجي لهذا الصراع، لكن الأمر يختلف لدى الجماعة فقد أخذوا عن معلمهم تروتسكي احتراف الوفاق الطبقي والسعي الدائم لبث العنوص والشك حول حزب الطبقة العاملة وتحرير الأيديولوجيا وسياسية معادية للشبيوية، وتجميع بنائه التنظيمي وجعله مفتوحا للعناصر المترددة والمشوهة، وكان هذا هدف تروتسكي الفار طوال حياته السياسية، ووجد في بلادنا من يحمل مشعله - جماعة «الشبيويين الثوريين» - عندما أسقطوا من مخطط تأسيس الحزب شرطية الوحدة الأيديولوجية محاولة منهم جلب مختلف الفصائل على قاعدة تجد فيها كل النظريات التحريفية: التروتسكية والغيفارية والمالية وحتى الخروتشوفية - في حدود معينة مكانا إلى جانب الماركسية اللينينية، ولا بأس في أن تجد بعض النظريات والمقولات الخاطئة التي كانت تدافع عنها روزا لوكسمبورغ أيام كانت نصف مشفية في مصاف المراجع النظرية من جملة كلاسيكي الشيوعية،

أنهم يعملون على بعث حزب فضفاض لا لون له سوى مجرد تصريح باتمائه للفكر الشيوعي، وفي نفس الوقت يغفلون توفيقاتهم بالدعوة إلى صراع «لا هوادة فيه» يقول الجماعة:

«إن نواة الحزب الثوري لن تشكل بصفة ميكانيكية عن طريق تجميع لعديد

(41) «الشرارة عدد 3 - ص 8

المكونات التي هي اليوم إبعاد من أن تكون متجانسة حتى تتمكن من الاسهام في بناء شيء متماسك أو بالحقا الكل لأحدى المجموعات الموجودة اليوم بشكلها ومحتواها السياسي الحالي، إن نواة الحزب الثوري ستكون نتاجا لتجاوز وإعادة تركيب مختلف هذه المجموعات وبالتأكيد لمجموعتنا التي لم نعتبرها يوما هدفا في حد ذاتها.

لذلك فإننا لا نقترح البتة تجميع مختلف هذه المجموعات والتيارات الموجودة اليوم في هيكلة سياسية واحدة ولكن على العكس فإننا نقترح الصراع دون هوادة بين هذه المجموعات لأنه وحده كفيل بتوضيح الأفكار وتركيز القناعات ودفع المناضلين الأكثر حماسا وجدية وإخلاصا للقضية البروليتارية ولكن هذا الصراع لا ينبغي البتة العمل المشترك الذي يمكننا من التدخل الفعلي في الساحة السياسية والالتحاق بالطلبة العمالية، ذلك أنه وفي ظل البحث وتحقيق العمل المشترك دون خلفية انتهازية ومن منطلقات مبدئية وبالتصادم مع المواقف الحقيقية للعمل السياسي سيجري الصراع الحقيقي بينما داخل اليسار الثوري نفسه وبالأقلنا سنتمسك في المجادلات المجردة والعقيمة البعيدة عن الصراع الطبقي اللاموس وستحول إلى مجرد فرق متصارعة فيما بينها»<sup>(42)</sup>.

وكسائر الانتهازيين أغرقنا التروتسكيون في بحر من جمل لا تنتهي وتصريحات مبدئية تبدو صارمة غاية الصرامة. يبدأ الجماعة بالقول أن «نواة الحزب الثوري» لن تشكل بصفة ميكانيكية عن طريق تجميع لعديد من المكونات وهو يعني رفض التوفيقية ولم الشمل. إلا أن هذا الرفض لم يكن مبنيا على ضرورة التمايز الأيديولوجي بل كانوا يطمحون إلى إعادة غربة المجموعات «اليسارية» من العناصر «التحجرة» و«النشئة بالماضي» والربط بالعناصر الأكثر حماسا وجدية وإخلاصا للقضية البروليتارية» على أساس «الصراع دون هوادة بين هذه المجموعات» لكن في إطار «التصادم مع المواقف الحقيقية للعمل السياسي» ويصلون في النهاية إلى بيت القصيد إلى دعوة «اليسار الثوري» أن لا ينغمس «في المجادلات المجردة والعقيمة البعيدة عن الصراع الطبقي» وإذا نزعا المزايدة اللفظية واللف والدوران يتضح أن الصراع الأيديولوجي والنظري حول أهم القضايا يعد في عرف الجماعة عقبا ولا يعد مكرنة من مكونات الصراع الطبقي المباشرة باعتباره لا يجدد في عرفهم الموقع الطبقي الذي ينحاز إليه كل فريق من هذا «اليسار الثوري». إن التقليل من أهمية الأيديولوجيا والنظرية بأي درجة كانت يعد تضييما للبوصله وضربا من ضربات بث الضباب والعنوص أمام الطبقة العاملة، وقيام بدور عميل للبورجوازية في صفوف العمال. فما بالك بالذين يحملون

(42) نفس المصدر السابق - ص 8 - 9



ان التروتسكيين على غرار الشعبويين لا يفرقون بين مستلزمات مهمة تأسيس الحزب

بمنه واختزلوا المهيتين في واحدة: «البناء».

تعتبر المهتمان وثيقي الارتباط بحيث تمثل الأولى اساس الثانية، لكنها تختلفان

حدة عن الأخرى اذ تعنى الأولى بالنأسيس الايديولوجي والنظري والبرنامجي والثانية

بكسب الطليعة العمالية للبرنامج وتوحيد الطبقة العاملة والشعب حول الحزب.

وعما سبق يتضح ان نظرية تأسيس الحزب عند الجماعة تتعارض كلياً والماركسية

علمية وتستمد اسمها من الفرضية التي عليها النظرية التروتسكية، ويضيف عليها

شعبويون الثوريون» امراض الحركة الشعبية في بلادنا.

- حول عضوية الحزب :

كنا تعرضنا في الجزء الأول الى الصراع الذي قاده لينين في 1903 حول الفقرة الاولى

النظام الداخلي للحزب المتعلقة بالعضوية، ضد المناشفة وضد تروتسكي الذي التحق

بهم فيما بعد. وكنا رأينا كيف ظهر عمق الخلاف وابعاده الطبقية مع تطور الصراع، ورأينا

كيف كانت الفقرة الأولى في حقيقة الامر الى جانب بقية الفقرات تعبر عن تصورات

مناقضين كلياً لطبيعة حزب البروليتاريا : الأولى (لينين والبلاشف) يريد ان يجعل منه كلا

ملاحاً طليعياً منظماً صلماً وكفاحياً، قادراً على قيادة الطبقة العاملة الى النصر النهائي، بينما

الثاني (المناشفة ثم تروتسكي) يريده ان يكون فضفاضاً لا حدود له، يحصل على العضوية

له كل من يرى في نفسه الاهلية وكل مضرب وكل طالب ومنقف «اشتراكي - ديمقراطي»

ان يعمل انتباهه له وان يتكلم باسمه، ومعنى آخر يتحول الحزب الى منتدى يجمع كل الملل

والنحل، اي حزب على قياس البورجوازية الصغيرة تستعمله لتكبير الطبقة العاملة

وبمصادها عن اهدافها الحقيقية.

ومنذ ذلك التاريخ (1903) - وفي الحقيقة منذ 1901 - بدأ الانقسام داخل الحركة

الشعبوية (الاشتراكية الديمقراطية بالتسمية القديمة) بين النظرية اللينينية للحزب وبين

النظرية الانتهازية التي اصبحت تسمى - بعد افلاس الاهمية الثانية - الاشتراكية

الديمقراطية.

الى جانب اي النظريتين يقف «الشعبويون الثوريون» ؟ نقرأ لهم :

«... كثيراً ما يتصور البعض ان حدود التنظيم الثوري ترسمها خلاياه التي تضم

الاهضاء ثم بعد التنظيم نجد مباشرة الحركة الجماهيرية. ان هذا تصور جامد قد يحكم

عمل التنظيم بالمرلة فلنوضح ذلك. بادى ذي بدء ان حدود التنظيم التي رسمها لينين سنة

1903 في سجالة مع المناشفة تتمثل في ان لينين يدعو الى ان يكون المناضل عضواً وليس

ايديولوجية ونظرية معادية للشعبوية كما هو الحال بالنسبة «لشعبويين الثوريين» الذين

يروجون التروتسكية ومحسبونها زوراً على اللينينية والبلشفية وهي براء منها.

وخلاصة القول ان اخلاف تروتسكي بقوا اوفياء لنظرياته وممارساته فتحلوا عن الجانب

الايديولوجي في مشروع تأسيس الحزب محاولة منهم لتجميع «اليسار الثوري» على اساس لا

مبدئي وتقرير التروتسكية على انها احدى مكونات الفكر التقدمي او فكر الطبقة العاملة.

وثالثاً : ان التروتسكيين على غرار الشعبويين يحملون بعث حزب من «تحت» اي انهم

يعتبرون ان احد الشروط الاساسية لوجوده هو «تحقيق الانحزام»، وهو ما يتعارض كلياً مع

لينين الذي اكد على ان الحزب يبنى من «فوق» وذلك لأنه يعطي الكاتبة الأولى للنظر

الايديولوجي والبرنامج ولوحدة الشعبويين حوله ثم يأتي في مرحلة ثانية دور البناء والتعزيز

يقول الجماعة :

«ان نفريق بين بناء التنظيم، وبناء الحزب الثوري الذي يشترط بالاساس استيعابه

للطليعة العمالية، وانغراسه داخل الطبقة العاملة، هذا الشرط الذي يشترط في منظمة

ثورية، فإن استراتيجة بناء الحزب الثوري ترهن بالكامل بالقدرة على تحقيق استيعاب

الطليعة العمالية وتحقيق الانغراس العمالي المطلوب»<sup>(43)</sup>.

انهم يضعون «الانحزام» شرطاً اساسياً لتأسيس الحزب وبه يفسرون كل شيء :

التجاذبات، التكتسات، وبه يفسرون فشل «اليسار الثوري» تماماً كـ «التيارات البورجوازية

وحتى التيار الديني» التي تعتبر ان «أزمة اليسار» تعود الى «عجزه عن الانحزام بحركة الواقع

وبالتالي عن بناء قاعدة جماهيرية»<sup>(44)</sup>، الا ان الفرق بينهم وبين «التيارات البورجوازية»

و«التيار الديني» هو انها اعتمدت عدم قدرة «اليسار» على التحول الى حركة سياسية ملتزمة

بالجماهير لترتبط رأساً هذا الفشل بإفلاس الايديولوجيا والنظرية الماركسية و«يسارية»

و«طفولية» البرنامج السياسي الذي اعتبرته يحمل احلاماً رومنتية للشباب حول العدالة

والحرية والديمقراطية والاشتراكية بينها «جامعنا» بروحهم التوفيقية لا يريدون الذهاب جهة

الى الهدف كي يظهروا في موقع المدافع عن الماركسية اللينينية هذا أولاً.

وثانياً لكي يتمكنوا من تمرير بضاعتهم في السوق «التمركسية» «اليسارية» الذي ولسوء

طالعهم لا يقبل على بضاعتهم. وثالثاً فهم على غرار معلمهم تروتسكي يحملون بعث

حزب «مترامي الأطراف» جماهيري «لا كتلة» (العبرة لتروتسكي وهو يتنقد لينين في

1912 لما رفض الوحدة مع التصفيين والمناشفة).

(43) المطرقة عدد 2 - ص 76

(44) نفس العدد - ص 48

منخرطاً. عضوا اي منظم داخل خلية يجارس من داخل الهيكل الذي تمثل الوحدة الوطنية للتنظيم الثوري نشاطه وليس اذا منخرطاً مادياً او معنوياً مثل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية. ان خصائص التنظيم اللبني صحيحة كل الصحة وهي من المبادئ التي نعمل بها نحن الشيوعيون الثوريون ونتمثل بها. ولكن يجب ان نلاحظ ان هذا التصور قد اسيء فهمه العديد من المرات محولاً هذا التنظيم الى هيكل معزول. ان هذه العزلة مرددا المعادلة التي غالباً ما نضعها (منظم او غير منظم، عضو او غير عضو، ونضعهم في سلة واحدة (اي سلة اللامتنظمين) الاشخاص المعادين والاصدقاء او حتى المتعاطفين الذين ليس لهم الاستعداد الادبي للتنظيم وهذا هو الخطأ. من الضروري ان نعي انهم عمداً فإن عدد الاعضاء المتعين للتنظيم سيكون بالقارئة مع عدد الجماهير (انظر الحزب البلشفي الذي كان لا يضم سنة 1917 سوى 250 الف الى 300 الف عضواً) ضعيفاً وهذا ناتج عما يتطلبه الانشاء الى تنظيم سياسي من نضالية وحاس ثوري وخاصة في بلدان مثل بلدنا حيث النشاط ضمن تنظيم يعتبر جريمة سياسية طبعاً هذا يجب ان لا يثنيها عن ضرورة كسب المناضلين الثوريين الى صفوفنا ولكن يجب ان نعي ان العديد من الصلات والمتعاطفين مع التنظيم الثوري واصدقائه (عدد كبير وحتى اكثر من الاعضاء) ليس في نفس السلة التي نضع فيها الاشخاص المعادين هؤلاء قد ينتظرون من التنظيم الثوري اجابات في الاوقات الحرجة وقد يعيّنون التنظيم شتى انواع الاعانات تنقل، مالية، عمل دعائي، تخريضي، توزيع... الخ، يجب ان نحافظ على تلك الصلات، يجب الا «نحسم» فيها ونرميهم بالتخاذل اذا لم يتسوا للتنظيم الثوري ونحاول طبعاً قدر الامكان ان نخلق قنوات تربطنا بهم، هؤلاء هم الاحزمة الواسعة والوسط الذي يعيش فيه التنظيم الثوري - ومنا يكسب عناصر القوة والحماية.

سنورد هذا المثال، فرع الامة الرابعة في بلجيكا، حزب العمال الاشتراكي، وهو حزب ككل فروعنا منظم على الطريقة اللبينية (اعضاء منظّمون في خلايا، مكتب تنفيذي، لجنة مركزية...) وفي الاشهر الاخيرة قرر الحزب خوض تجربة طريقة في ميدان التنظيم ذلك انه وامام عدد المتعاطفين والاصدقاء والصلات التي يمتلكها الحزب وامام الوضوح لدى عضوية الحزب، انه من جهة لا يمكن هؤلاء تجاوز هذا الحد من النضالية (حدود التعاطف والصدقة) واهميتهم العددية من جهة اخرى، قرر الحزب تكوين منخرطين، اي عمالاً حاملين لبطاقة الحزب (على طريقة الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية) بدون ان يكونوا منظمين في خلايا (يجب ان نعلم ان فرعنا ينشط في القانونية في بلد تسود الديمقراطية البورجوازية) وهؤلاء المنخرطين يشاركون في الحملة الانتخابية ويكسبون

سار ويساعدون الحزب ويعينونه تقنيا وماليا (وضع اللافئات والصور او تركيب جهاز بهاء خلال المهرجانات والتظاهرات التي ينظمها الحزب وهي اشياء بسيطة ولكن ويشاركون في المسيرات ويوزعون نداءاته ويساهم العديد منهم في بيع جريدته بهمها طبعاً لا تدخل هذه التجربة في عداد التكيف مع التصور التنظيمي للاحزاب الرامية الديمقراطية ذلك ان الفرع اللبيني يمارس الشكل التنظيمي اللبيني الشكل لاهضاء الذين يساهمون في العمل الداخلي للحزب ويشاركون في صنع القرار السياسي الهيات والمؤتمرات، وهو شكل تنظيمي يحاول تأطير المتعاطفين والصلات وهو شكل من الذين الذين ينظم لهم الحزب اجتماعات دورية للنقاش والتشاور، وهم لا يشتركون صنع القرار السياسي. وقد قدر الحزب خلال الاشهر المنصرمة على كسب مئات منخرطين الى صفوفه بدون تقليد اعمى لأي تجربة من التجارب، يجب ان نستفيد من ذلك. لا يمكن لأي تنظيم ثوري منظم على الطراز اللبيني ان يقوم بمحض مجهود اعضائه بكل الاعمال الجماهيرية، يجب ان يعتمد على احزمة المتعاطفين والاصدقاء والصلات ليس اعتماداً انتهازياً، بل اعتماداً براعياً فيه محدودة هؤلاء ويرفع من مستوى مساهمتهم في العمل السياسي. هذا بدون ان يسقط في اي نوع من انواع التسبب والتكيف الانتهازية مع الاشكال التنظيمية اللبينية. ان الحد من حالة الميوعة او التسبب التنظيميين تقتضي من جهة تقديم الاطر المناسبة لكل مستويات الاستعداد العملي والنظري والسياسي لدى المناضلين ومن جهة تدعيم النظم المركزية اللبينية التي يجب ان تقوى باستمرار<sup>(43)</sup>. اوردنا هذا الاستشهاد المطول بهدف اطلاق القراء على مواقف الجماعة كاملة، ولكيهم من الالام بجميع جوانبها. ان المسألة التي يطرحها «الشيوعيون الثوريون» تتعلق في الواقع بالفقرة الاولى من النظام الداخلي للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي التي اصبحت فيها بعد كما اشرنا الى ذلك اعلاء تفرق ما بين الاحزاب الشيوعية الحقيقية والاحزاب الانتهازية. ولم يخف هذا الامر على جماعة «الشرارة» فاكادوا في مطلع الفقرة على اهم منازرون الى جانب لينين والبالاشفة وهم يزعمون ان يكون حزبه المشود من «الطراز اللبيني» وتبرأوا من المناشفة الا انهم نسوا ان معلمهم تروتسكي انضم اليهم بعيد سنة 1903 وكان من الذين وقفوا ضد لينين في نظرية الحزب وبقي كذلك الى آخر حياته وادعوا في نفس الوقت انهم يطبقون اللبينية بصورة خلاقة وشنوا «حرباً» ضد الجمود العقائدي كي يهدوا الطريق لسيطرتهم وافكارهم الحقيقية حول نظرية الحزب فوجدوا مهرباً لم ينطق

(43) «الشرارة» عدد 4 - ص 42 - 43

له معلمهم، يتمثل في افتتال فرق بين الانخراط في الحزب والعضوية فيه. وعلى هذا الأساس اعدوا قراءتهم للفقرة الأولى من النظام الداخلي مؤكدين ان لبنين كان يقصد بها اعضاء الخلايا القاعدية ولا يقصد جمهور المنخرطين الذين ليسوا بالضرورة منظمين في هياكل ودعموا رأسهم هذا بمراجعة ثانية حول مكانة الخلية بالنسبة للحزب اللبني. ان الخلية هي الهيكل القاعدي للحزب لربط بينه وبين الجماهير في مؤسسة أو حي أو قطاع... الخ. الا ان الجماعة وخوفا من «الانعزال» اعتبروا ان الخلية لا يمكن ان تكون الهيكل القاعدي للحزب وعوضوها بعامة «المنخرطين» المنظمين وغير المنظمين وبعبارة اخرى فإن قاعدة الحزب مفتوحة ودون ضوابط تنظيمية وهكذا التقوا مع مارتوف والمنافسة الذين كانوا يطالبون بأن يبقى الانتماء للحزب مفتوحا ولكل من يرى في نفسه الكفاءة ان يتكلم باسمه ولكل مضرب يعلن انتهاءه «للاشتراكية الديمقراطية» كما انهم اتبعوا نصائح تروتسكي الداعية الى ضرورة ترك الحزب مفتوحا للشباب ومطالبة الاشتراكيين الديمقراطيين المنظمين بهذه الصورة او تلك «ان يعلنوا انتهاءهم اليه».

ان المسألة كل المسألة تكمن في السؤال هل ترك قاعدة الحزب مفتوحة بدون ضوابط ام من الواجب ان تكون محكمة التنظيم لا تضم سوى اعضاء الحزب (اي المنخرطين فيه) المنظمين بالضرورة في خلايا او لجان... واجابة «الشيوعيين الثوريين» والمنافسة وتروتسكي هي ان تبقى مفتوحة فضفاضة لا تخضع لضوابط، وبحسب لبنين والبالشفة وسالين والامية الثالثة والاحزاب (الماركسية اللينينية) بضرورة تنظيمها المحكم طبقا للفقرة الأولى للنظام الداخلي التي اقترحها لبنين ودافع عنها.

ونحن لا نتجنى عليهم عندما نقول انهم معادون لللينينية فقد اقتبسوا فكرة التنظيم من الفرع البلجيكي للامية الرابعة والتي نقلها بدوره عن الاحزاب الاشتراكية و«الاشتراكية الديمقراطية» الاصلحية وحاولوا اضعاف صبغة مبدئية عليها وبموجب هذه المبادئ التنظيمية يقرر الاعضاء السياسية ويضمهم اليهم جمهور المنخرطين في التطبيق. لكن هذه «المبادئ» ليست سوى محاولة بعث فريق بيروتراطي يختص في اتخاذ القرارات وتسطير السياسات عوضا عن الجميع، اما عن التطبيق فيصبح من مشمولات جمهور «المنخرطين»: اخذ «الشيوعيون الثوريون» فكرة تقسيم العمل من تروتسكي نفسه الذي قال:

«على المؤتمر ان يعمل من اجل الاجتماع لبعض الاسابيع، اين يلتقي رفاق من جهات وفروع نشاط الحزب المختلفة - والاهم بصفة خاصة - التقاء نظريين وعملين، يتقابل النظريون بالذين لهم مهمة تجسيد استخلاصاتهم في الممارسة اما العمليون فيهم

من مهمهم زادا من الافكار العامة لتنفيذ عملهم التحريضي...»<sup>(46)</sup>. لقد التجأوا الى كل هذه المواقف المتنافية مع ايسط مبادئ المركزية الديمقراطية التي من حق المناقشة واتخاذ القرار لكافة المنخرطين منها كان موقعهم التنظيمي مع اشتراط الممارسة في التطبيق.

ان الاحزاب الماركسية اللينينية تنظم جمهور المناضلين اللاخريين في منظمات مبرية مختصة (نقابات، منظمات الشباب، منظمات نسائية...) تتخذ فيها القرارات لا ما يملية عليها الحزب بل على اساس النقاش الذي يقوم به اعضاؤها، وتمارس وتسير الديناميك الخاص الذي يحكمها. وليس من حق مناضلي الحزب العاملين فيها فرضهم عليها بل من واجهم العمل بصورة دائمة على اقناعهم ومساعدتهم على كسب تربية نقدية بالنقاش الديمقراطي.

تتبع الاحزاب في عملها الدعائي والتحريضي تنظيم العناصر الحركية اللاخرية في لجان واسعة ومتنوعة. ولا يمكن اعتبار هذا الجمهور من المنخرطين (او المنتمين)، فهو في كل مكون من اناس عاديين لهم استعدادات للتحرك على هذه الواجهة او تلك. وعلى من الممارسة المشتركة تترى الثقة لديهم في الحزب. وفي نفس الوقت يتندب الحزب من هؤلاء العناصر الاكثر تقدما ونضالية والاكثر استعدادا للتطور، يقول لبنين:

«من الممكن رؤية الخطر في ان يدخل الى الحزب دفعة واحدة جمهور من غير الاشتراكيين الديمقراطيين وأتذاك يذوب الحزب في الجمهور، يكف الحزب عن ان يكون

لهيئة طليعية واعية من الطبقة، آتخذ ينحط الحزب الى دور الذئب»<sup>(47)</sup>.

عارض «الشيوعيون الثوريون» اللينينية في النظرية والممارسة وربطوا بالمنشئية وبلاشتراكية - الديمقراطية. ان نظريتهم المعروضة علينا، عشوية لا تولى اهمية لدور الوعي

ولا تعتبر ان الحزب مكون من طليعة الطبقة العاملة من خيرة ابناءها. ولا تراه كلاً منظماً بل

نضع على رأسه اوليعارضية حزبية وفيها عدا ذلك تبقى الحدود مفتوحة بينه وبين طبقته او

بالاخرى بينه وبين جميع الطبقات وهذا التصور ليس له بذرة واحدة من اللينينية.

و - المركزية الديمقراطية :

يضبط «الشيوعيون الثوريون» مفهومهم للمركزية الديمقراطية كالآتي :

«المركزية الديمقراطية والتي تعني الحرية التامة في النقاش الداخلي وحق الاتجاه وحق

(46) دراسات ووثائق ماركسية - لينينية - ص 39

(47) المختارات في 3 مجلدات (م 1، ج 2)، لبنين، دار التقدم موسكو 1976 - ص 154

الكتل والانضباط الصارم في تنفيذ القرارات التنظيمية والقوانين الداخلية»<sup>(٤٨)</sup>.  
 ان الحزب هو - كما عرفه ستالين - هيئة اركان الطبقة العاملة تشكل المركز، الديمقراطية القانون المنظم للعلاقات داخله والتي تجعل منه كلا متلاحما. وهي تعني المناقشة الحرة والممارسة الموحدة حسبها تحدده ارادة الاغلبية. ولا يمكن لهذه الهيئة ان تقود جيش الطبقة العاملة اذا لم يكن كافة اعضائها مهما كان موقعهم يخضعون لانضباطية واحدة، حديدية. والانضباط هنا لا يعني الطوعية العسكرية العمياء، بل الواعية تلك التي يقبلها العضو عن قناعة.

ان الليبنية لا تطلب من مناصلي الحزب الانخراط في هذه الانضباطية او القبول بها، الا على اساس حقهم في النقاش العمق وتبادل الآراء، ولكن حالما ينتهي النقاش يطلب من الجميع الانضباط لرأي الاغلبية ولا رادتها التي تمثل ارادة الحزب، وما على الرأي الاقلي (ال) الخضوع للرأي الاغليبي مع الاحتفاظ بحقه في اعادة طرح المسألة من جديد عندما تتور معطيات جديدة تدعمه.

ان قانون الاغلبية والاقلية كأحد مكونات المركزية الديمقراطية لا ينطبق على المسائل التي تتعلق بطبيعة الحزب وايدولوجيته ونظريته واهدافه الاستراتيجية، بل يخص كل قضايا النضال العملي والتكتيكي باعتبارها غالبا ما تكون محل تقديرات وجهات نظر مختلفة جزئيا او كليا ولا يظهر الاتفاق بالاجماع او بالاغلبية الا بعد المناقشة الديمقراطية بين ممثل القبول بالمبادئ الايدولوجية والنظرية والتنظيمية للحزب وبرنامجهم ركننا اساسيا في الانتهاء اليه. فهي الاسس اما ان نقبل بها او نرفضها من البدء. وهي بالتالي لا تدخل تحت طائلة قانون الاغلبية والاقلية وذلك لأنه لو كان الامر على هذا النحو لتغيرت مبادئه بنه. الاغلبية والاقلية ولوجد حزب البروليتاريا نفسه يدافع عن الشيء ونقيضه ويؤمن بالشيء ونقيضه، اليوم يطرح على الطبقة العاملة اهدافا وعدا اهدافا اخرى وهلمجرا... الخ.  
 ان الحاجة الى وحدة كفاحية لحزب البروليتاريا وانضباطية حديدية استخلصه الشيوعيون من قوانين الصراع الطبقي ذاته ومن ضرورة تغيير ميزان القوى لصالح الطبقة العاملة بهدف الوصول بها الى السلطة والقضاء على نظام الاستغلال والاستعمار الأساس والسير بالبشرية جمعاء نحو التحرر النهائي. يقول ستالين :

«ان المرحلة الجديدة هي مرحلة الاصطدامات المفتوحة بين الطبقات، مرحلة الاعمال الثورية للبروليتاريا مرحلة الثورة البروليتارية والاعداد المباشر للقوى في سبيل

(٤٨) الشراة عدد 1 - ص 15

الامبريالية وافتكاك السلطة من قبل البروليتاريا. ان هذه المرحلة تطرح امام البروليتاريا مهام جديدة : اعادة تنظيم مجمل عمل الحزب حسب غط جديد ثوري، تنقيف على اساس النضال الثوري من اجل السلطة، واعداد وتجميع الاحتياطات، تحالف بروليتاري البلدان المجاورة، ربط علاقات متينة مع حركات التحرر في المستعمرات والدان التابعة... الخ.

والاعتقاد بأن هذه المهام الجديدة بإمكانها ان تتحقق بقوى الاحزاب القديمة والاشتراكية الديمقراطية التي تربت في ظروف السكون البرلاني، يؤدي الى يأس لا حدود وإلى هزيمة لا مناص منها.

ان البقاء يمثل هذه المهام الملقة على عاتقنا بالاحزاب القديمة يعني البقاء مجردين من الاح تمام.

وعلى هذا الاساس ظهرت الحاجة الى حزب جديد، حزب كفاحي وثوري شجاع وله الكفافية يقود البروليتاريين في النضال من اجل السلطة، محمك بدرجة كافية تسمح له الهتاء في الظروف المقلدة لوضع ثوري، وممن بدرجة كافية تسمح بتجنب المخاطر من نوع كانت على الطريق المؤدية للهدف.

انه بدون مثل هذا الحزب لا يمكن حتى مجرد التفكير في قلب الامبريالية وتحقيق مهامنا البروليتاريا، هذا الحزب الجديد هو حزب الليبنية»<sup>(٤٩)</sup>.

ان مثل هذا الحزب في حاجة ماسة الى انضباط حديدي كي يقدر على قيادة البروليتاريا، التي لا تملك من القوة سوى وحدتها التنظيمية وتحالفها المتين مع سائر الكادحين، في حربها ضد اعداء لهم تحت تصرفهم احزاب بورجوازية : فاشية واصلاحية، واجهرة سلطة : جيش، بوليس، محاكم سجون، الخ وصحافة مأجورة، ومثقفون : أدباء، وشعراء وفنانون وعلماء... الخ. في خدمة مصالحهم. ويعد حزبا من ضروب الخيال التفكير في هزم هذه القوة التي تتمتع بها البورجوازية - بقطع النظر عن الدعم الخارجي - بدون حزب كفاحي محجوب وعاروف بقوانين الصراع الطبقي وتعرجاته موحدا اروع وحدة، يجمع مناضلو الى انضباطية حديدية واحدة.

ان وحدة الارادة والانضباط الحديدي لحزب لينيني يتعارضان وتواجد الخطوط والكتل. لماذا ؟ لأن تواجدها يعني تفكيك الارادة الواحدة للحزب بحكم تعدد المراكز والمخلة، اذ يصبح لكل كتلة ارضيتها الخاصة ومركزها الخاص والا انتفت صفة الكتلة عنها،

(٤٩) مسائل الليبنية، ستالين - ص 100 - 101

وهذا الوضع يؤدي بطبيعة الحال الى انعدام المركز الواحد. فتفتت الارادة الواحدة وتبعيد الانضباطية الواحدة الى نفس المصدر - وهكذا يتلاشى الحزب ويتحول الى حزب اشتراكي ديمقراطي وأداة اضافية في يد البورجوازية تستعمله لمزيد تضليل وتكبير الطبقة العام، وابعادها عن اهدافها الحقيقية يقول لينين :

«في هذا العصر، عصر الحروب الاهلية الحادة لا يمكن للحزب الشيوعي اداء واجبه الا اذا كان منظماً بأقصى المركز ومحكوماً بانضباط حديدي من الانضباط العسكري، ويتبع فيه المركز بنفوذ كبير وسلطات واسعة وحائز على الثقة العامة للأعضاء»<sup>(50)</sup>.

وقد بين لينين مراراً عديدة خطر التكتل داخل الحزب وقادم الانقسامية باعتبارها تهدد وحدة ارادة البروليتاريا سواء قبل الثورة او اثناها او بعدها.

وقتن الحزب البلشفي معارضته للتكتل في المؤتمر العاشر. وكان لينين دعا الى «الالغاء التام لكل تكتل» و«الحل الفوري لكل الفرق بدون استثناء التي تكونت على قاعدة هذه الارضية او تلك». وفي صورة عدم تنفيذ ذلك فسؤدي بأصحابه الى «الطرد المحتر والمباشر من الحزب»<sup>(51)</sup>.

لا يعرف «الشيوعيون الثوريون» معنى للديمقراطية البروليتارية الا في نطاق تعدد الخطوط والتكتل وهذه الفكرة ليست خاصة بهم وحدهم بل يشتركون فيها مع الماويين.

ان الخط الايديولوجي والسياسي يعبر بصفة مكثفة عن مصالح طبقية معينة يتدافع عنه مجموعة من الافراد منظمين طبقاً لقوانين ومبادئ خاصة بها فتتشكل بذلك مجموع او كتلة او حزب. ويمثل هذا التنظيم طبقة التي يتبنى ويدافع عن مصالح الجوهرية. وقد يتساءل بعض المناضلين - متأثرين ببعض النظريات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة - عن سبب قبولنا بوجود احزاب متعددة للبورجوازية في حين ان نرفض التعدد بالنسبة للطبقة العاملة. كل ما في الامر انهم لم يفهموا الفوارق التي تقدر عليها مصالح هذه الطبقة او تلك. صحيح ان للبورجوازية مصلحة واحدة تكمن في الحفاظ على نظام الاستغلال والاستعباد الرأسمالي، لكن وبحكم جشعها ولشها الدائم على ثروتها الخاصة لا على حساب الكادحين فقط بل وعلى حساب شرائح منها دون اخرى. وما من شأنه ان يؤدي الى صراع بينها في سبيل المهيسة على السوق وعلى سلطة الدولة كـ تستعملها لخدمة مصالحها الانانية الضيقة. وهذا التنافر والوحدة بين المصالح الانانية.

(50) لينين، مجلد 25 (الطبعة الفرنسية) - ص 282 - 283

(51) مسائل اللينينية، ستالين - ص 112

سيفقد يفترض تعدد التغيرات السياسية حسب تشكل الوعي الخاص هذه الكتلة او تلك تستغل البورجوازية هذا التعدد في صفوفها لحماية نظامها من الانهيار، وعندما يصيب فلاس احد احزابها الماسكة بالسلطة وتصبح الحركة الجماهيرية الراقصة تهدد كيانه تعدد تغييره بأخر عرف بمعارضته فيأخذ مطالبها وشعاراتها ويفرغها من محتواها كي يتزعم تغيير المنشود.

ومهما تعددت احزاب البورجوازية وشعاراتها سواء كانت في المعارضة او في السلطة لها لا تخمد سوى مصالح طبقتها الضيقة ومصالح نظامها ككل. لكن تعدد الاحزاب لا قاعدة عامة لجميع البلدان الرأسمالية بل نجد البورجوازية في العديد منها تكفي حزب واحد لفترة ما من تاريخ دكتاتوريتها، وهو ما نلاحظه على الاخص زمن صعود نهائية للسلطة في اوروبا وفي البلدان التابعة.

بينما تنفي الشيوعية تعدد الاحزاب بالنسبة للطبقة العاملة وذلك لأن هذه الاخيرة لا تملك شيئاً غير الاغلال، فهي تنتج الثروة لغيرها (اقلية المجتمع : اي البورجوازية)، والمقابل فهي لا تتلقى منها سوى ما يسمح لها بإعادة انتاج نفسها وبالتالي تواصل سلالة المبيد الجدد عبيد رأس المال.

لقد اهلها وضعها المادي (الاقتصادي والاجتماعي) ان تناضل لا في سبيل مصلحة ثانية ضيقة بل في سبيل تحرير المجتمع ككل، لأن هدفها هو القضاء المبرم على النظام الاستغلالي والاستعبادي وعلى انقسام المجتمع الى طبقات.

ان الطبقة العاملة لا تملك شيئاً يمكنها من تحقيق اهدافها سوى وحدة صفوفها وادارتها وقوة تنظيمها. وما من شك في ان وحدة الارادة لا يمكن ان تتحقق لديها الا على اساس وجود هيئة اركان موحدة : تقود نضالها الطبقي وتتمتع بنفوذ واسع في صفوفها اي حزب سياسي قوي بمبادئ ايديولوجية ونظرية ماركسية لينينية وله استراتيجية وتكتيك ثوريان وما من شك ايضا ان وحدة تنظيمها وقوته لا يمكن ان تتحقق الا بقيادة حزب كفاحي وثوري يلهم في صفوفه خيرة ابنائها، منظم باحكام تسوسه المركزية الديمقراطية، له انضباطه الحديدية، شجاع بما فيه الكفاية، وممكن بدرجة تمكنه من تجنب الزلزال وممرن بصورة تمكنه من تتبع تعرجات الصراع الطبقي ومن تجميع وتنظيم جيش البروليتاريا، في كل واحد ومصالح متجهة في ذلك شتى اساليب التنظيم.

وعلى هذا الاساس فإن تعدد احزاب الطبقة العاملة يعني بالضرورة تعدد المصالح ومن هناك تعدد المبادئ الايديولوجية والنظرية والبرامج الامر الذي يجعل من «وحدة الارادة» حلماً ساذجاً، ويحل محلها التناحر والتعادي وتفقد البروليتاريا بذلك اهم سلاح



تمتلكه (وحدة ارادتها السياسية، وقوة تنظيم صفوفها). ان التعددية تهبط بها الى مستوى المصالح الانانية الضيقة : اي المصالح المهيمنة الفرعية، وبالتالي الى التريدينونية، وتحكم ربطها كذيل للبورجوازية لخدمة مصالحها ومصالح نظامها الرأسمالي.

ثاني الآن الى مسألة حرية الخطوط والكتل. كنا بينا ان الخطوط والكتل تعبر في النهاية عن مصالح طبقية معينة، اما ان تعبر عن مصالح البورجوازية (كبيرة او صغيرة) والطبقات الاستغلالية القديمة او عن مصالح الطبقة العاملة لذلك يكون القبول بالخطوط والكتل : حزب البروليتاريا يعني اعتباره مرآة عاكسة للصراع الطبقي في المجتمع يجمع فيه ممثلو المصالح الطبقية المتنافرة والمتناقضة ليبحثوا عن ارضية مشتركة تجمعهم، تجمع مصالح المستغل (بفتح الغين) والمستغل (بكسر الغين)، المضطهد (بفتح الهاء) والمضطهد (بكسر الهاء) السيد والعبد. وهذه النظرة اساس التعاون الطبقي تقودها ديمومة النظام الرأسمالي والحزب البروليتاري المبني على هذه القاعدة لن يكون سوى اداة تفكيك وحدة ارادة وتنظيم البروليتاريا وبالتالي عنصر تكبير وتعطيل لوعيتها.

لقد ربط «الشيوعيون الثوريون» تعدد الخطوط والكتل بالديمقراطية داخل الحزب وبالاتضباط الصارم، لكنهم في الحقيقة :

أولاً : لا يفرقون بين الديمقراطية البورجوازية وبين الديمقراطية البروليتارية. ولا يفهمون ان الأولى تعطي الحرية للمالكين وتمنعها عن الشعب بواسطة الدساتير والقوانين : بالاعتماد على قانون الغاب. اما احزابها فتقوم على الزعامات والولاءات الشخصية والكتل، كل حسب امكانيات المغالطة وشراء الاتباع... الخ. ويعطون لهذا «التناحر الخفي والكشوف صفة الديمقراطية المثلى، في حين ان الثانية تمنح الديمقراطية للشعب وتؤثر كل امكانيات ممارستها ولا تحرم منها الا من يحاول تخريبها. وتطبيق الديمقراطية للبروليتاريا داخل الاحزاب الشيوعية الماركسية اللينينية، باحترام النقاش، بتوفير الشروط والأدوات اللازمة لذلك، وعدم احتكار اقلية من «النغمة» او «علية القوم» للقرار لأن صنعه موكول لما يقضي اليه النقاش الداخلي، اي طبقاً للارادة الواحدة للحزب التي يمكن تحديدها حسب الرأي الاغليبي. وعندما ينتهي النقاش تصبح الممارسة الموحدة شرطاً ضرورياً لكافة الاعضاء على اساس خضوع الاقلية للاغلبية، وعليها الدفاع عن الموقف الاغليبي وكأنه موقفها الخاص باعتباره يمثل الارادة الموحدة للحزب. وهذا يعني ان الديمقراطية البروليتارية ليست فوضى او حرية خطوط وكتل، بل هي حرية النقاش ووحدة الممارسة المنظمة طبقاً لقانون المركزية الديمقراطية. بينما الديمقراطية البورجوازية هي التكتل وهي الزعامات وفي النهاية الفوضوية. ويقسّم الثروتسكيون هذه المفاهيم والتصورات كي يتسللوا بها الى

صفوف الطبقة العاملة والى فكرها وسياساتها الطبقية بهدف تخريبها.

وثانياً : يقرن الجماعة تعدد الخطوط والكتل «بالانضباط الصارم» في تطبيق التعليمات الاجراءات التنظيمية» في حين ان التكتل تعني بالضرورة تعدد المراكز والسلطات وهي التالى انتفاء الارادة الموحدة والانضباط الواحد والصارم. وهكذا نلاحظ بدون عناء ان ربط حرية التكتل بالديمقراطية وبالمرورية الديمقراطية والانضباط الصارم لا يعدو ان يكون مجرد حوافر تافه من وجهة نظر ايديولوجية البروليتاريا وهي مجرد محاولة تمرير افكار بورجوازية تحت ملاف وجمل ماركسية لينينية.

ان «الشيوعيين الثوريين» تربوا في المدرسة الثروتسكية ولم يكشفوا من الوهلة الاولى عن اهدافهم ومراميمهم وغطوها بستار كثيف من المنطق الضبابي التماسك ظاهرياً اخذوه من معلمهم تروتسكي وهو يعالج نفس القضية حين قال في 1923 :

«اذا اردنا ان لا تكون ثمة تكتلات يجب ان لا تكون ثمة تجمعات دائمة. واذا اردنا ان لا تكون ثمة تجمعات دائمة يجب ان نتجنب التجمعات المؤقتة. اخيراً ولكي لا تكون ثمة تجمعات مؤقتة يجب ان لا تكون ثمة خلافات في الآراء لأنه حينها يوجد رأيان يتجمع الناس حتماً وفقاً لهم»<sup>(2)</sup>.

يلاحظ القارئ ببداهة ان المنطق الذي يقود تروتسكي بعيداً كل البعد عن الجدلية ويرتكز على السفسطة والتعاقبية والاطلاقية بحيث لا ينزل الظاهرة الى الصراع الطبقي، الى التعارض والصراع بين قطبي المجتمع (البورجوازية والبروليتاريا) ليخرج في النهاية باستخلاصات تقدم مصلحته السياسية. ظهر في البداية وكأنه شاطر الرأي القائل بضرورة منع التكتلات داخل الحزب، الا انه في سياق «تحليله» يضيف فكرة ساذجة تقول ان التكتل باعتباره تجمعا دائماً، هو وليد التجمع المؤقت وان هذا الاخير هو بدوره وليد وجود خلافات في الرأي (كذا) ليخرج باستنتاج في شكل قانون عام - او قل مطلق - : «حينها يوجد رأيان، يتجمع الناس حتماً وفقاً لهم».

ويترك للقارئ الاستنتاج الذي لم يقدمه له بصفة مكشوفة وهو أن التكتل مسألة حتمية لا حول ولا قوة لنا عليه. لقد حصر تروتسكي القارئ غير الفطن في نطاق فكرة قالب : «التجمعات الدائمة هي نتيجة حتمية للتجمعات المؤقتة»، جرد بها التكتل من طابعه الطبقي وبذلك أصبح الانتقال من الطور الثاني الى الاول مجرد حركة ميكانيكية داخل نفس النوعية ولا يعد تحولاً نوعياً في الطبيعة ذاتها، كيف ذلك ؟

(2) المركزية الديمقراطية والمركزية البروقراطية، غسان ماجد - ص 8

ان الحزب الماركسي اللينيني يعيش في مجتمع طبقي، ومن المنطقي أن يعكس عليه الصراع الطبقي، أي أن يظهر في صلبه اختلاف حول قضايا النضال العامة واليومية وتبعاً لذلك تظهر أقلية وأغلبية تخضع الأولى للثانية - طبقاً لمبدأ المركزية الديمقراطية - ووجود أقلية - في حدود المسائل التكتيكية والعملية - لا يتناقض والمبادئ الماركسية اللينينية بل هو ظاهرة من ظواهر الصراع الطبقي داخل الحزب. لكن ما كل مرة تسير الأمور على هذا النحو، إذ يفعل الإراهاب وضغط ايدولوجية البورجوازية وانخفاض اليقظة داخل الحزب ونقص اعداد مناضليه ايدولوجيا وسياسيا واندساس عناصر انتهائية في صلبه قد يؤدي الى ظهور تجمعات تراجع خط الحزب كل من زاويتها وتعمل في نفس الوقت على فرض أرضيتها وارادتها على باقي المناضلين. ان هذه التجمعات من طبيعة مخالفة تماماً لطبيعة التجمعات من الصف الاول (أقلية وأغلبية). تجمعات معادية للحزب وللطبقة العاملة فهي تمثل هدفاً للمقاومة. والخلط الذي اعتمدته تروتسكي بين الصنفين لا هدف من وراءه الا الوصول الى النتيجة التالية: «حيثما يوجد رأيان، يتجمع الناس وفقاً لها». ليشعر في النهاية الصنف الثاني من التجمعات أي الكتل ويخرج بقانون عام لخدمة أغراضه السياسية: «المركزية الديمقراطية تعني حرية الاتجاه والكتل...».

ان تروتسكي قبل أن يخرج علينا بقانونه العام «أوهنا» أنه قانون موضوعي لا حول ولا قوة لنا عليه بما انه حيثما وجد رأيان يتكلم الناس بالضرورة حولهما. يقول أحد أتباعه في هذا الشأن:

«ان التكتلات ليست سوى نتائج طبيعية مرضية او لانهكاس الظروف الاجتماعية والسياسية العامة داخل الحزب. ان منها بالتالي اما أن يكون قسرياً فيلجأ الى قمع وارهاب يمارسه «الجهاز» - وهي حال الاحزاب الستالينية - أو يكون تشجيعاً للانشقاق. ان المعالجة الصحيحة لمسألة التكتلات ليست في حظرها بل في احترام حقوقها الديمقراطية بما يسمح بمطالبتها باحترام المركزية الديمقراطية أي قرارات الاكثرية. ان معالجتها السلمية هي في اقناعها، اقناعاً، بضرورة الحفاظ على وحدة الحزب. اما اذا كانت الخلافات أعمق من أن تتحمل التنايش في حزب واحد فعلى الوحدة السلام! ان اللينينية أيضاً تراث انشقاقي!...»<sup>(53)</sup>.

ان كل المحرفين من اليسار ومن اليمين الذين ظهروا في الحركة الشيوعية والعملية العالمية توجهوا رأساً الى محاولة الاستيلاء على هيئة أركان الطبقة العاملة وتفكيكها من

(53) نفس المصدر - ص 8 و 9

الداخل. ورددوا جميعاً رفضهم «للبورقراطية الجهاز» ودعوا للتعدد والتكتل باعتباره استجابة لقانون موضوعي من قوانين الصراع الطبقي وأشهرها هي «نظرية الصراع الخطي» الماوية والتكتيلية التروتسكية.

يعكس الصراع الطبقي داخل حزب البروليتاريا ويأخذ أشكالاً عدة بما في ذلك الصراع ضد الكتل والخطوط، لكن هل ان الوصول الى هذه الحالة أمر حتمي؟ كلا! ان الحزب الشيوعي الماركسي اللينيني عندما يكون موحداً ايدولوجياً وسياسياً، وعندما يكون يقطاً على الدوام وعينه ساهرة على كافة مناضليه، يربهم ويصلب عودهم في خضم الصراع الطبقي، وعندما يعمل باستمرار على تنقية صفوفه من العناصر الانتهازية التي نفذت طاقاتها الثورية وتحولت الى صنعة البورجوازية في صلب الحزب وعندما يقاوم الانحرافات البيروقراطية والليبرالية حال ظهورها، ويشجع الديمقراطية البروليتارية وقها يصح احتمال ظهور الخطوط والكتل ضعيفاً. ومن هذه الزاوية يأخذ الصراع الطبقي داخل الحزب، بالنسبة لنا، اتجاه دعم وحدة الحزب باستمرار وصيانه من أخطار تخريب الكتل والخطوط بينما يراه التروتسكيون في وجودها الختمي وفي «تمكينها من حقوقها الديمقراطية» وفي العمل على اقناعها «بضرورة الحفاظ على وحدة الحزب».

وخلصه القول فان «الشيوعيين الثوريين» لا يتبنون المركزية الديمقراطية الا كلاماً، وهم يغفلون التكتيلية والانقسامية بشعارات «شيوعية ثورية» أو «ماركسية ثورية» ويقفون بذلك على طرفي نقيض مع الماركسية اللينينية وبحولون حزب الطبقة العاملة الى أداة بين أيدي البورجوازية.

4 - شيء من التاريخ، وقرار المؤتمر العاشر الخاص بوحدة الحزب :  
يرتج التروتسكيون أن قرار المؤتمر العاشر للحزب البلشفي الذي يحظر الكتل قرار مؤقت أملته الظروف الخاصة التي كانت تمر بها الدولة السوفياتية الفتية والحالة المتدهورة، التي عليها الحزب. ويعلمون هذا أيضاً بأن «اللينينية (هي) تراث انشقاقي»<sup>(54)</sup> وأن «لينين ذاته (كان) أنشط التكتيليين»<sup>(54)</sup> ويعطينا أحد التروتسكيين من الشرق العربي صورة حية على تزوير التاريخ، يقول:

«من يستطيع أن ينكر أن تاريخ البلشفية حتى سنة 1921 كانت التكتلات عنصراً أساسياً من عناصره؟ أليس البلاشفة بالأصل تكتلاً؟ أو ليس لينين ذاته أنشط التكتيليين؟ البلاشفة هم أحد اتجاهي الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا اللذين تحولاً

(54) نفس المصدر - ص 5

الى تشكيلين عنيين سنة 1904 (كونفرانس التجمعات البلشفية في جينيف)، سنة بعد ظهورها في المؤتمر الثاني للحزب (مؤتمر بروكسيل 1903) ثم توحدوا مجددا في المؤتمر الرابع (ستوكهولم 1906) وكان البلاشفة فيه أقلية ثم عادوا أكثرية في المؤتمر الخامس (لندن 1907). في سنة 1907 في الكونغرس الثالث صوت لينين وحده من بين البلاشفة مع المناشفة ضد جميع البلاشفة الآخرين حول مسألة مقاطعة الانتخابات للدوما (البرلمان القيصري) الثالثة التي حاول البلاشفة جر الحزب إليها. بعد ذلك ظهر بين البلاشفة تكتل جديد «القصويين» و«الانزوفيين» ما لبث أن انفصل عن التكتل الأكبر سنة 1909. هذا وفي السنة ذاتها أصبح لينين في أقلية بين البلاشفة الذين مالت غالبيتهم الى التوفيقين (دعاة وحدة الحزب بجميع تكتلاته، وقد تزعم الدعوة التوفيقية تروتسكي الذي نشط في تكتل مستقل عن البلاشفة والمناشفة) فبلغ جو الوحدة في الحزب أوجه في سنة 1910 الى حد أن صحفيي التكتلين الكبيرين اندجا في صحيفة واحدة هي صحيفة «الاشتراكي الديمقراطي» التي ضمت هيئة تحريرها لينين وزينو فياف ودان ومارتوف... غير ان الألفة لم تعمرو وفي 1912 حسم الانشقاق بين البلاشفة والمناشفة (بعد ان انفصل بليخانوف عن هؤلاء وتعاون لمدة سنة مع البلاشفة على رأس تكتله الخاص الذي نشأ بين المناشفة سنة 1908). بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى في عام 1914 واثار القمع الذي انهال عليهم، تضعصع البلاشفة ولم يعيدوا تنظيم صفوفهم الا بدءا من عام 1916. أما صراع تكتل البلاشفة ضد تكتل «البلاشفة القدامى» طوال الأشهر الممتدة بين ثوري فبراير وأكتوبر 1917، فليس هناك من يجهل به وقد وصل هذا الصراع الى حافة الانشقاق سيما وأن «البلاشفة القدامى» (أشهرهم زينوفيف وكاميناف) تعاونوا مع فئات من خارج الحزب ونشروا آراءهم في غير صحافة الحزب. أما بعد الثورة، فدارت مناقشة هامة حول صلح برست ليتوفسك بين لينين وأنصاره من جهة وتروتسكي وأنصاره الى رأي لينين بعد أن وقفوا لوهلة أولى موقفا الاخرى فقد انضم تروتسكي وأنصاره الى رأي لينين بعد أن وقفوا لوهلة أولى موقفا وسطيا الامر الذي سمح لرأي لينين بالانتصار. كان ذلك في فبراير - مارس 1918. وقد دارت بعدئذ مناقشة حول سياسة الحزب في الشؤون العسكرية بين أكثرية تبنت أطروحات تروتسكي في هذا الموضوع وأقلية رأت أن يقتصر التنظيم العسكري على الميشتيات ووحدات الانصار. أما في سنة 1920 فقد انقسم الحزب الى اتجاهات وتكتلات شتى تحت ضغط ظروف كانت تزداد صعوبتها باستمرار. دارت المناقشة حول المسألة النقابية بين اتجاهين وتكتل ثالث اتجه الاكثرية بزعامه لينين واتجاه تروتسكي بوخارين، وتكتل «المعارضة العمالية» شليابينوف وكولونتاي. كما تشكل تكتل آخر حول الوضع العام في

الحزب والدولة هو تكتل «المركزية الديمقراطية» (بزعامه سابر ونوف وسيرينوف) ولما أخذ هذا الوضع يهدد وحدة الحزب وبالتالي مصير السلطة البلشفية التي وقفت آنذاك على كنف عفريت قرر المؤتمر العاشر للحزب المنعقد في مارس 1921 منع النقاش في تكتلات حفاظا على وحدة الحزب في مرحلة عصيبة»<sup>(55)</sup>.

ومن سوء طالع تروتسكيينا أن سعههم لتزوير تاريخ البلشفية واللينينية لم يجد صدى إلا لدى أصحاب «الجملة الثورية» فئة من البورجوازية الصغيرة شبه المثقفة تنبهاه بانتمائها إلى «شيوعية» غير مألوفة. ويحكم عجزهم على «التنظير» التجأ «الشيوعيون الثوريون» إلى أشقائهم في المشرق العربي كي يمدوهم بما توصلوا إليه من «اكتشافات» لا يقدر عليها إلا خونة الشيوعية والمحرفون. ويظهر ذلك بجلاء في الاستشهاد المطول والممل الذي أورده أعلاه للتروتسكي «غسان ماجد».

إن أول ما يمكن ملاحظته هو تغيير المعطيات وتجريدها من إطارها الايديولوجي والسياسي ومن الظروف التاريخية التي ظهرت فيها، كي يصل في النهاية إلى استنتاج يبدو بدعيا، وهو أن «تاريخ البلشفية هو تاريخ التكتلية داخل الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي الروسي» ليبر بذلك التكتلية التروتسكية، وحمية ظهور الكتل في الحزب وأخيرا ظرفية قرار المؤتمر العاشر الخاص بوحدة الحزب.

لا يخفى على أي مناضل شيوعي له أدنى اطلاع على تاريخ الحركة الشيوعية العالمية أن نظرية الحزب اللينينية ولدت في ظروف ما زالت فيها الأحزاب الشيوعية (الاشتراكية الديمقراطية بالتسمية القديمة) في ظل الاممية الثانية منظمة على الطريقة القديمة، كما أن عامة الاشتراكيين الديمقراطيين ما زالوا في تفكيرهم ونظرياتهم وسياساتهم وأساليب عملهم ونضالهم على النمط القديم.

لقد ظهرت نظرية الحزب اللينينية منذ 1901 وقت وضع لينين أسسها النظرية والايديولوجية في «ما العمل؟» وفي 1903 وضع أسسها التنظيمية في «خطوة إلى الأمام...» بالإضافة إلى عديد المقالات والرسائل وأشهرها: «بماذا نبدأ؟»، «ورسالة إلى رفيق». ولم تنشق اللينينية طريقها إلا بصعوبة داخل حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي لأن جمهور العمال الذين يتبنون له لم يمكنوا بعد بحقيقة الصراع الذي قابل البلاشفة بالمناشفة، وكان أملهم كبيرا في أن يروا الحزب موحدا. لذلك كانوا يطالبون وينادون بالوحدة ولم يتفطنوا لانهيارية المناشفة وتخريفهم للماركسية إلا بعد فترة طويلة نسبيا

(1903 - 1912) من الممارسة المشتركة التي مكنتهم من اكتشاف حقيقتهم. وكان على لينين أن يأخذ هذا العامل بعين الاعتبار حتى لا ينزل البلاشفة على جمهور الأعضاء. وهو يواصل الصراع النظري والفلسفي والسياسي ضد كل مظاهر الانحراف عن خط الحزب ومبادئه وينادي بضرورة اتخاذ اجراءات تنظيمية في شأن المنسدين والمتعاونين مع الأعداء، ولم يقل أبداً أن تعيش في الحزب الكتل والخطوط. ولامامة اللثام عن التروتسكيين المستترين باللينينية سوف نعمل على وضع الاحداث والوقائع في اطار الظروف التي ظهرت فيها كي يتبين للقارئ انتهائيتهم وتزويرهم للتاريخ.

تأسس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا في 1898 بدون أن يكون له برنامج ونظام داخلي وقد تعقدت أوضاعه بعد اعتقال لجنته المركزية فساد صفوفه الارتباك الفكري والنشنت التنظيمي وظهر في صلبه تيار يبرر نظريا هذا الوضع ويشيد به كظاهرة تنوع «يعتبر هدف انشاء حزب سياسي موحد ومركز للطبقة العاملة هو هدف مصطنع وعديم الفائدة»<sup>(56)</sup>.

ويدعى أصحاب هذا التيار «الاقتصاديون» فكان من الضروري لانشاء الحزب، القضاء على «الاقتصاديين» كتيار انتهازي. ويتقضي تحقيق هذا الهدف ضبط برنامج الحزب ومهماته، وقد أخذ لينين على عاتقه هذه المهمة، فخاص صراعا داخل الاشتراكيين الديمقراطيون الثوريين من أجل بحث جريدة لعامة روسيا أوكل لها مهمة هزم «الاقتصادية» ووضع أسس الحزب. ووضع مشروعه في مقاله «بماذا نبدأ؟» ثم عمقه في «ما العمل؟» ووضع المبادئ الايديولوجية والنظرية التي كونت الأساس الفكري للبشفية.

وفي 30 جويلية 1903 بدأ المؤتمر الثاني للحزب أشغاله في بروكسال وأنهاها في لندن. كانت مهمة المؤتمر كما عرفها لينين في «ما العمل؟» قبل انعقاده بحوالي سنتين : «تأليف حزب حقيقي على أساس مبادئ وأسس التنظيم التي وضعتها الايسكرا». ومن البديهي أن يكون المؤتمر غير متجانس بحكم أن هزيمة «الاقتصاديين» لا تعني القضاء على الانتهازية أو على العقيدة القديمة، لذلك سهل عليها التستر تحت ثلونات جديدة وتمكنت من التواجد في المؤتمر :

«وهكذا كان المؤتمر لا يضم أنصار الايسكرا فحسب، بل خصوصها أيضا. وكان عدد أنصار الايسكرا 33 أي الاكثرية، غير أن الذين كانوا يدعون أنهم من أنصار الايسكرا لم يكونوا جميعهم ايسكريين لينينيين حقيقيين. وقد انقسم المدويون إلى فرق

(56) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي - ص 49

مدينة وكان لانصار لينين أي الايسكريين الثابطين 24 صوتا. وكان 9 من الايسكريين يسمون مارتوف وهم الايسكريون غير الثابطين. وكان قسم من المدويين يتأرجح بين الايسكرا وخصوصها وله 10 أصوات في المؤتمر، وكان يؤلف الوسط أما خصوم الايسكرا المدويون فكان لهم 8 أصوات (3 «اقتصاديين» و5 «بوتنديين»<sup>(57)</sup>).

كانت أهم القضايا المطروحة أمام المؤتمر هي الموافقة على برنامج الحزب ونظامه الداخلي. وإن توصل لينين إلى احراز انتصار حول البرنامج ضد فريق من الانتهازيين الذين اعترضوا على دكتاتورية البروليتاريا وعلى مطالب الفلاحين الخاصة وعلى حق الامم في تقرير مصيرها، فقد وجد نفسه أقليا فيما يخص الفقرة الأولى من النظام الداخلي وذلك لترسب الحزبية والحلقة والنشنت التنظيمي وفقدان نظام يشد الحزب. وأظهرت النقاشات تصورات متعارضين لنمط حزب البروليتاريا. فمن ناحية كان لينين واللينينيون يكافحون من أجل حزب متجانس ومكافح ومنظم بكل الدقة اللازمة تحكمه انضباطية صارمة، ومن الجهة الأخرى كان مارتوف وأنصاره وحلفاؤه يعملون كي يكون الحزب فضفاضا، غامض الحدود لا ينجس لشكل تنظيمي محدد ولا لنظام صارم.

لقد كان الصراع ضد الانتهازية في مجال النظرية والبرنامج، وكذلك الأمر في المجال التنظيمي. كما كان الفرز ضروريا في صفوف الاشتراكية الديمقراطية الثورية بعد أن حصل الانفصال عن «الاقتصاديين». وبذلك بدأت اللينينية تعوض المفاهيم القديمة والقوالب الجامدة والحمول والحزبية... إلخ.

وليس من الغريب أن يتخلى الايسكريون غير الثابطين عن الايسكريين الحازمين ويتجمع تحالف بين مارتوف والبوند والاقتصاديين والبولونيين، ليحصل مارتوف على الأغلبية في التصويت على الفقرة الأولى من النظام الداخلي. وخلال المناقشة حاول جماعة «البوند» الحصول على وضعية متميزة داخل الحزب كممثل وحيد للعمال اليهود في روسيا. رفض المؤتمر طلبهم باعتباره مظهرا من مظاهر التعصب «القومي». ولما رفض مطلبهم انسحبوا وتبعهم اثنان من «الاقتصاديين» عندما رفض المؤتمر الاعتراف باتحادهم كممثل للحزب في الخارج. وبذلك تم الفرز مرة ثانية بالتخلص النهائي من «البوند» ومن «الاقتصاديين» المستترين.

وتجلبت الغلبة لمشروع لينين. كان انتباهه مركزا من البداية على تركيبة الهيئات القيادية للحزب. وكان يعتبر أنه من الواجب أن ينتخب المؤتمر «في اللجنة المركزية ثوريين يتصفون

(57) نفس المصدر - ص 62  
انظر لينين «خطوة الى الامام».

بالخروج والصلابة» لانه يعلم جيدا أن مارتوف وأنصاره متربصون بها ويريدون أن يكرز التفوق لصالح العناصر المترددة والانتهازية.

«إلا أن أكثرية المؤتمر تبعت لينين حول هذه النقطة وانتخب أنصار لينين أعضاء في اللجنة المركزية».

وباقترح من لينين انتخاب هيئة تحرير اليسكرا لينين ويليخانوف ومارتوف. وبعد أن ضمن لينين للحزب برنامجه ونظامه الداخلي، انتخب أنصاره إلى هيئات الحزب المركزية ومنذ ذلك الحين أطلق عليهم البلاشفة وعلى أنصار مارتوف المناشفة.

وعلى الرغم من أن المؤتمر حقق نجاحات باهرة فإنه :

— «كشف عن خلافات خطيرة في ميدان التنظيم قسمت إلى بلشفيك ومنشفيك :

الأولون يدافعون عن مبادئ تنظيم الاشتراكية الديمقراطية الثورية بينما يتخبط الآخرون في هوة التفسخ التنظيمي وفي مستنقع الانتهازية.

— كما أظهر أن هناك انتهازيين من نوع جديد، هم المنشفيك، أخذوا يحلون شيئا فشيئا في الحزب، محل الانتهازيين القدامى «الانقصاديين» الذين هزمهم الحزب ودمحهم.

— وتبين أنه (أي المؤتمر) لم يبلغ المستوى الرفيع الذي تتطلبه الحالة فيما يتعلق بمسائل التنظيم، فقد تردد وجعل الغلبة أحيانا في جانب المنشفيك، ورغم أنه استيقظ في النهاية فهو لم يستطع أن يفصح انتهازية المنشفيك في مسائل التنظيم ولم يستطع حتى وضع مهمة كهذه أمام الحزب»<sup>(58)</sup>.

تبين هذه الملاحظات الاستنتاجية أن انقسام الحزب إلى أغلبية وأقلية شمل فحسب بعض جوانب التنظيم التي قد لا تؤدي بالضرورة إلى الخروج الكلي لهذه الأقلية عن الماركسية، هذا إلى جانب عدم نضج الحزب ككل وارتفاعه إلى المستوى المطلوب في مسائل التنظيم، لذلك يكون من السابق لأوانه ومن الخطر طرح مسألة الانقسام عن المناشفة في المؤتمر. لذا كان من الواجب انضاج الظروف من أجل ذلك. إن مراعاة الظروف لا يعدّ قبولا بالتفكير. ولو كان لينين من المدافعين عن هذه الفكرة لقبل ببقاء البوند داخل الحزب على الصورة والأرضية التي يرتضيها ولقبل أيضا ببقاء «الانقصاديين» بينما أوكل لليسكرا مهمة القضاء عليهم وبعث الحزب على أنقاضهم.

لم يقبل المناشفة بالهزيمة فطالبوا بعد المؤتمر أن يكون تمثيلهم في هيئة تحرير الجريدة اللجنة المركزية بنسبة تؤمّن لهم الأغلبية في هيئة التحرير والتساوي في اللجنة المركزية.

لكن البلاشفة هذا الطلب باعتباره يتناقض وقرارات المؤتمر الواجب احترامها. عندها ألقوا باعتهم الانقسامية العادية للحزب بترجمتها مارتوف وتروتسكي وأكسلرود وأعلنوا مصيانية على اللبينية» على حدّ تعبير مارتوف. وتمكنوا من جرّ بيليخانوف المدعور من خطر عمام الحزب وراءهم وأضافوا إلى هيئة «اليسكرا» المحررين المناشفة القدامى رغمًا عن إرادة المؤتمر وابتداء من عددها الـ 52 أصبحت اليسكرا اللسان المركزي للمناشفة.

وتحالف المناشفة مع «الانقصاديين» والبوندين وأشهروا الحزب على اللبينية في مسائل تنظيم. فكان لا بد من ردّ حاسم على نظرياتهم الانتهازية وهو ما قام به لينين فعلا في مؤلفه : «خطوة إلى الامام خطرتان إلى الوراء» الصادر في 1904 الذي وضع الأسس التنظيمية للحزب من النمط اللبيني، ولخص فيه تحليل الخلافات التي ظهرت في المؤتمر مؤلفه : «خطوة إلى الامام خطرتان إلى الوراء» الصادر في 1904 الذي وضع الأسس التنظيمية للحزب من النمط اللبيني، ولخص فيه تحليل الخلافات التي ظهرت في المؤتمر

الثاني والأبعاد التي أخذها فيها بعد. لقد أكد لينين أن وحدة الطبقة العاملة السياسية لا تكفي بمفردها لتأمين الانتصار بل هي في حاجة أيضا إلى وحدتها التنظيمية.

إن الأهمية التاريخية لهذا المؤلف هي بالإضافة إلى الدور الذي لعبه في حماية الحزب من أخطار التخريب المنشفي تعود إلى كونه وضع :

«أول مرة في تاريخ الماركسية تعاليم الحزب من حيث هو المنظمة القائمة للبروليتاريا، ومن حيث هو سلاح أساسي في يد البروليتاريا يستحيل بدونه احراز الغلبة والظفر في النضال لأجل الدكتاتورية البروليتارية»<sup>(59)</sup>.

أحرز المناشفة على الأغلبية بفضل هذا النضال من كسب أغلبية منظمات الحزب في حين استولوا على هيئة تحرير اليسكرا، ورموا نهائيا بقرارات المؤتمر عرض الحائط. فأصبح ضروريا إصدار جريدة بلشفية جديدة وتنظيم مؤتمر جديد، المؤتمر الثالث للحزب لانتخاب لجنة مركزية جديدة وتصفية حساب المناشفة، وفي سبيل ذلك عقدت اللجان البلشفية الجمهورية الثلاث (الجنوب، القفقاس، الشمال) وانتخب من بينها مكتب تولّى اعداد العمل لانتقاد المؤتمر الثالث. وفي 4 جانفي 1905 صدر العدد الأول من الجريدة البلشفية لهرمود (إلى الامام).

ومنذ ذلك الحين انقسم الحزب إلى تنظيمين متميزين بلشفي ومنشفي لكل منهما

مركزه وصحافته. وكانت الخطوة الحاسمة نحو الانفصال النهائي عن الفريق الانتهازي والانتقالي (المنشفي).

لم تتوقف التباينات عند هذا الحد بل أضافت إليها ثورة أكتوبر 1905 جملة من الخلافات الأخرى حول التكتيك الواجب اتباعه وحول كيفية تنظيم الانتفاضة والاطلاع بالحكومة القيصرية، وتكرين حكومة ثورية مؤقتة والموقف من الفلاحين ومن البورجوازية الليبرالية... إلخ.

لقد كان من الممكن إيجاد حلٍّ للخلافات التكتيكية خاصة وأن المناشفة مازالوا متمسكين ببرنامج الحرب ظاهرياً بالإضافة إلى أن القطيعة لم تصبح قانونية، ولم تقرها الهيبة العليا للحزب (المؤتمر). وعلى هذا الأساس اقترح البلاشفة على المناشفة الدعوة فوراً لعقد المؤتمر الثالث وإفراز خطة موحدة للحزب ككل على أن تنتم الأقلية بقرارات الأغلبية فأجابوا بالنفي. حينها قرر البلاشفة دعوة جميع منظمات الحزب (بالمشفة كانت أم منشفية) إلى المشاركة في المؤتمر، وفي أبريل 1905 اجتمع في لندن المؤتمر الثالث ولم تحضر أشغاله أي من المنظمات المنشفية، واستنكر المؤتمر سلوك المناشفة واعتبره عملاً انشقاقياً ووصفهم «بجماعة منقسمة عن الحزب». وفي نفس الوقت الذي تجري فيه أشغال المؤتمر عقد المناشفة مجلساً عاماً في جينيف بسويسرا حاولوا إعطاءه صفة المؤتمر لكنهم تراجعوا عن ذلك نظر لضعف عدد مندوبيهم. وصف لينين الحالة وقتها بوضوح تام حين قال: «مؤتمران فحزبان!».

وبعد شهرين فحسب من انعقاد المؤتمر الثالث أصدر لينين مؤلفه الشهير الذي يعا أسهاماً جديداً في إثراء الماركسية اللينينية وضع فيه بالإضافة إلى الرد على خطة المناشفة مبادئ الخطة الماركسية في مرحلة الانتقال من الثورة البورجوازية إلى الثورة الاشتراكية وهو الأمر الذي أهل البلاشفة لقيادة ثورة 1905 التي أغرقها القيصر في الدم فتركوا في ساح المعركة وفي السجون مئات المناضلين البواسل في حين كان المناشفة ينتقدون الثورة «بوسائل نضال سلمية».

ومع ذلك ضعفت صفوف البلاشفة من جراء القمع الأسود بينما حافظت المنظمات المنشفية على ذاتها لأنها لم تنسرك في قيادة الثورة.

كان العمال يناضلون ضد القيصرية ويطالبون في نفس الوقت بتحقيق وحدة الحزب. أيد البلاشفة طلبهم واقترحوا على المناشفة دعوة المؤتمر لتوحيده. فقبلوا بذلك تحت الضغط العمالي.

انعقد المؤتمر الرابع في ستوكهولم في أبريل 1906، وسمي «مؤتمر الوحدة».

«وقد اشترك فيه 111 مندوباً بأصوات فعلية يمثلون 57 منظمة عمالية للحزب وحضر ثلاثة على ذلك يمثلون من الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية القومية وهم: 3 من ألمانيا و3 من الحزب الاشتراكي الديمقراطي البولوني و3 من المنظمة الاشتراكية الديمقراطية في ليتوانيا»<sup>(66)</sup>.

وبهذه الصورة تجتمعت أغلبية نسبية إلى جانب المناشفة الذين استولوا مجدداً على قمة المركزية وهيئة تحرير الجريدة المركزية.

لقد فرضت جماهير العمال هذه الوحدة الشكلية لأنها لم تكن قد تبينت بعد حقيقة حقيقة الانتهازية. لم تتوقف انتهازيتهم على مسائل التنظيم (التي تراجعوا عنها في المؤتمر الجديد) كنتنازل منهم للبلاشفة، لما شعروا أن لهم الأغلبية بل مست التكتيك وبعض أتب هامة متعلقة بمصير الثورة.

إن لينين والبلاشفة يراهنون على وعي العمال وعلى اطلاعهم عن طريق الممارسة على حقيقة المناشفة، لذلك قبلوا بالتوحد من جديد مع المناشفة وقادهم لما انقلبوا على إرادة العمالية وعلى إرادة الحزب ولم يترددوا في بعث جريدتهم الخاصة وحافظوا على تنظيم البوليتاريا المستقل وناضلوا في سبيل وحدة الحزب على أساس مبدئي، ولم يكن ذلك قط سلباً بالتكتيلية داخل الحزب.

إن عدم أخذ هذه الظروف بعين الاعتبار والنظر للوحدة كعملية مجردة يؤدي بأصحابه حتماً للوصول إلى أحكام واستنتاجات سخيفة وساذجة.

ومند أن حصل المناشفة على الأغلبية في المؤتمر الرابع ومسكوا بقيادة الحزب تحلى معزهم عن قيادة النضال الثوري ولم تجد شعاراتهم مصداقية ولم تتبعها الجماهير. وفي أيام موطر الثورة التي دعت البلاشفة إلى الاشتراك في انتخابات الدوما الثانية لا لكي يقوموا بعمل «تشريعي» بالتكتل مع الكاديت بل لاستخدام الدوما كمئبر في مصلحة الثورة. في حين أن اللجنة المنشفية كانت تدعو إلى عقد اتفاقات انتخابية مع الكاديت وإلى تأييد الكاديت في الدوما. فعارضتها أغلب منظمات الحزب ووقفت ضدها، عندها دعا البلاشفة إلى عقد مؤتمر جديد.

«وفي ماي 1907 انعقد في لندن المؤتمر الخامس للحزب، وكان حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا يضم إذ ذاك (مع المنظمات الاشتراكية الديمقراطية الروسية) ما يقارب 150 ألف عضو، وقد حضر المؤتمر 336 مندوباً. وكان عدد البلاشفة

(66) نفس المصدر - ص 122

105، وعدد المنفيين 97 وكان المنوبون الآخرون يمثلون المنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية، وهي منظمات الاشتراكيين الديمقراطيون البولنديين والليتوانيين والبولنديين وكانت قد قبلت في الحزب في المؤتمر السابق. حاول تروتسكي أن يؤلف في المؤتمر فريقا صغيرا خاصا به، يكون فريقا وسطيا أي نصف منيفيكي ولكن لم يتبعه أحد. وقد اجتناب البلاشفة إلى جانبهم البولنديين والليتوانيين فجمعوا أكثرية ثابتة في المؤتمر<sup>(61)</sup>.

رسم المؤتمر الخامس بأكثر وضوح تكتيك الحزب في المرحلة الجديدة وعلاقته بمختلف الأحزاب والقوى الطبقية ويكون بذلك كما قال ستالين :

«جمع العمال المتقدمين في كل روسيا بصورة فعلية في حزب واحد تحت علم الاشتراكية الديمقراطية الثورية : ذلك هو مغزى مؤتمر لندن، وتلك هي صيغة العامة»<sup>(62)</sup>.

وفي 3 جوان 1907 حلت الحكومة القيصرية دوما الدولة الثانية وبدأ عهد الارهاب الأسود وملاحقة الثوريين في كل مكان فاندحرت الثورة وعمت التفتيح والانحلال (روافد الطريق) رفاق الثورة المؤقتين وبلغ الانحطاط المنوي أقصاه بين المثقفين، إذ انتقل بعضهم إلى المسكر المعادي للثورة واستغل ستوليين أشدهم جينا ونذالة ليجمع منهم عمال وجواسيس. ورفع رفاق الطريق راية نقد الماركسية والتهمهم عليها. ومن جديد أخذ لينين على عاتقه الدفاع عن الماركسية في مؤلفه الشهير «المادية والذهب التقدي التجريبي» وكان الآخر إثراء للماركسية وتطويرا لتراثها الفلسفي، وكان له أثره الكبير على حياة الحزب وبنى الاخص الزيد من شد صفوف البلاشفة. وبذلك تكرر تفوق الماركسية على سائر الأيديولوجيات والفلسفات في روسيا وخارجها.

لقد أصبح نضال الحزب خلال سنوات الرجعية أعسر بكثير من السابق وصار نضال الاعضاء في تناقص كبير بحيث غادره عدد كبير من «رفاق الطريق» وخصوصا من المثقفين خوفا من البوليس. وظهر الارتباك على الناشئة وتكروا بصورة مفضوكة لبرنامج الحزب وشعاراته الثورية وذهبوا إلى حد الدعوة إلى تصفية الحزب السري. بينما كان البلاشفة يناضلون في سبيل الحفاظ على منظمات الحزب السرية وتقويتها واستفادوا من

مكانيات العمل الشرعي لتعزيز روابطهم بالجماهير يقول لينين :

(61) نفس المصدر - ص 124  
(62) نفس المصدر - ص 130 و 131 و 132

عرفنا كيف تعمل خلال سنوات طويلة قبل الثورة وليس من دون سبب قيل عنا : أننا بدون كالصخر. لقد ألّف الاشتراكيون الديمقراطيون حزب عمال لا يدع للخور سبيلا من جراء القتل في أول هجوم عسكري، ولذا فهو لن يضع صوابه ولن يتجرأ إلى «مراعات»<sup>(63)</sup>.

في ستالين :

قام حزبنا في هذا الدور بانعطاف تحول فيه من النضال الثوري المكشوف ضد صهيونية إلى طرق نضال ملتوية إلى استخدام الامكانيات الشرعية من كل نوع وكل صيغة : من جميات التأمين إلى منبر مجلس الدوما. كان هذا الدور، دور تقهقر بعد عام ثورة 1905. وكان هذا الانعطاف يضطر إلى استيعاب طرق النضال الجديدة، نستطيع، عندما يتم لنا جمع قوا، أن نشهر نضالا ثوريا علنيا ضد القيصرية. استخدمت المنظمات الشرعية، التي ظلت سائلة، كنوع من الملاجئ للمنظمات الحزبية شرعية وكأجهزة اتصال بالجماهير. واستفاد البلاشفة لأجل الاحتفاظ بهذا الاتصال من الامكانيات والمنظمات الاجتماعية الشرعية الأخرى : كجمعية التأمين في حالة المرض، والبنائات والمنظمات الاجتماعية الثقافية ودور الشعب. واستخدموا منبر مجلس دوما الدولة للحملة على سياسة الحكومة القيصرية، وفضح الكاديت وجذب الفلاحين إلى حزب البروليتاريا. وكان الاحتفاظ بمنظمة الحزب اللاشرعية وقيادة كل أشكال العمل السياسي الأخرى بواسطة هذه المنظمة يضمنان للحزب تطبيق خطته الصحيحة وتهيئة القوى لأجل نهوض ثوري جديد»<sup>(64)</sup>.

وفي مثل هذه الأوضاع الصعبة كان البلاشفة يناضلون على واجهتين : ضد أعداء الحزب المقصوحين التصفيين وضد أعدائه المستترين المعروفين بالاتزويين (تيار يساري ملحي بالانسحاب من الدوما).

وفي ديسمبر 1908 انعقد في باريس المجلس الوطني الخامس للحزب، ودعا جميع المنظمات إلى النضال بحزم ضد التصفيين. إلا أن الناشئة تنكروا لقرارات المجلس وذهبوا أكثر فأكثر في طريق التصفية وطريق خيانة الثورة والارتقاء في أحضان الكاديتين وذهبوا بصورة مفضوكة عن برنامج الحزب الثوري وعن شعارات الجمهورية الديمقراطية ومهادنة أراضي كبار الملاكين ويوم الثماني ساعات عمل. ووجدوا في تروتسكي ديبلوماسي

(63) نفس المصدر - ص 193  
(64) نفس المصدر - ص 194

التصالح والوفاق على حساب الثورة، على حساب برنامج الحزب الثوري، على حساب البلاشفة، ولصالح الثورة المضادة وبرامج الكاديت والناشئة التصقويين. وشكل تروتسكي في عام 1912 «كتلة آب» التي ضمت كل الجماعات وكل الميول المعادية للبلاشفة. ولمواجهة هذه الكتلة تشكلت كتلة تضم عناصر أنصار المحافظة الحزب السري: البلاشفة وعدد صغير من «الناشئة الحزبيين» ومعهم بليخانوف كان نضال البلاشفة ضد التصقويين والاورتوفيين وضد التروتسكيين يفرض عليهم تجميع قواهم لإنشاء حزب بلشفي مستقل عن التيارات والكتل الانتهازية. لقد أصبح الانفصال الكامل عن المناشفة ضروريا لأنهم تراجعوا عن برنامج الحزب الثوري وفقدوا قاعدتهم الجماهيرية، وانكشفت حقيقتهم لدى العمال الطلائعيين لذلك أصبحت مواصلة القبول بالوحدة معهم في نطاق حزب واحد بمثابة الخيانة لفضية الطبقة العاملة، وبأن الضروري إتمام القطيعة التي بدأت منذ المؤتمر الثاني للحزب بالانفصال النهائي عنهم واعاد طردهم من الحزب. وكُرس المجلس الوطني السادس للحزب المنعقد في جانفي 1912 في براغ هذا التوجه، وحضرته أكثر من عشرين منظمة. كان المجلس بمثابة مؤتمر للحزب، انتخب لجنة مركزية وقرّر طرد المناشفة. وبذلك ظهر الحزب البلشفي الى الوجود كحزب مستقل عن سائر التيارات والكتل الانتهازية.

لم يكن لينين يجهل منذ أصدر مقاله «ماذا نبدأ؟» أنه لكي يتسنى للبروليتاريا القتد بالسلطة وبناء الاشتراكية لابد من حزب ماركسي لينيني حقيقي متطور من الانتهازيين والانتهازيين، متلاحم الصفوف حزب الثورة وديكتاتورية البروليتاريا. فقد كان يناضل في سبيل تهيئة الظروف الملائمة لبنائه وكسب خيرة أبناء الطبقة العاملة وتحليصهم من العقيدة الاشتراكية الديمقراطية» الاصلاحية وأساليب عملها وتنظيمها.

ويمكننا القول بدون أن نخشى الخطأ أن كل النضال الذي خاضه لينين والبلاشفة في «الاقتصاديين» والمناشفة والتروتسكيين والاورتوفيين والثاليين كان بالفعل تاريخ تاليس حزب البروليتاريا من الطراز الجديد، حزب من الطراز اللينيني مطهر من الانتهازية وقد على قيادة الطبقة العاملة في الثورة وفي بناء الاشتراكية ويعود الدور الأساسي في الاعاء لانشاء مثل هذا الحزب الى لينين ولم تكن مهمة المجلس العام السادس سوى تنويعا لسير عمل التهيئة الطويل والمعقد.

ومن لم يفهم تاريخ تكون الحزب البلشفي، في ما بين 1901 و1912 بالعمق الكافي لم يفهم شيئا من اللينينية ولا من نظرية الحزب. فبالك بالتروتسكيين الذين جعلوا تاريخ ظهور البلشفية والحزب البلشفي تاريخ صراع كتل، ومن لينين «أنشط الكتليين»

«أربع الانقساميين». لأنهم ورائه لأكسلرود ومارتنيوف ومارتوف وتروتسكي وغيرهم ممن تملأوا عن الماركسية اللينينية وخانوا الطبقة العاملة والثورة.

لقد استعار «الشيوخون الثوريون» ورافقهم للينانيون أتباع الاممية الرابعة التروتسكية سلحتهم من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية القديمة والحديثة - التي تقسخت باليا - في نضالهم ضد نظرية الحزب اللينينية. اهم يريدون حزبا خليطا من عناصر ماركسية لينينية وأخرى انتهازية، من أصدقاء للثورة وأعداء لها. يعمل فيه الصنف الاول دوما على اتصال مع الثاني رافعا شعار «الوحدة» كي ينتهي الامر بالجميع الى مستنقع واحد، مستنقع الانتهازية. وهذا النوع من الاحزاب يعمل فقط في سبيل «اصلاحات اجتماعية» تكون أن يتعدى هذه الحدود.

صار حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا (البلشفي)، منذ المجلس الوطني السادس كلاً موحدا يسير بخطى ثابتة لتوحيد الطبقة العاملة وقيادتها في الثورة وفي ارساء ديكتاتورية البروليتاريا.

ومنذ تأسيسه (أي منذ القطيعة النهائية مع الانتهازية) تحمل الحزب البلشفي دوره كحزب في قيادة النضال الثوري للعمال والفلاحين بهدف كنس القيصرية والبورجوازية والامبريالية كخطوة حاسمة نحو تركيز ديكتاتورية البروليتاريا. بينما اصطفت كل الانتهازيين وراء «حزب ستوليبين للعمال» (تسمية أطلقها البلاشفة على التصقويين) ووراء الكاديت (حزب البورجوازية الليبرالية) ولما اندلعت الحرب العالمية الاولى وقفوا وراء حكومة القصر الاستعمارية رافعين شعار «الدفاع عن الوطن» أو «لا حرب ولا سلم» الذي أطلقه تروتسكي، في حين عمل البلاشفة على «تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب أهلية» للاطاحة بالبورجوازيات المتحاربة. وجدد كل طاقاته لتحويل هذا الشعار الجماهيري بين العمال والفلاحين والجنود، الامر الذي ساعد على انضاج عوامل ثورة فيفري 1917 التي أطاحت بالقيصر ثم ركز اهتماماته على المورد بها الى المرحلة الثانية أي الى الثورة الاشتراكية.

اننا اذا قلنا أن الحزب البلشفي مكونة من مكونات الصراع الطبقي الدائر في المجتمع الروسي باعتباره أداة الطبقة العاملة الحاسمة في نضالها ضد القيصرية وضد البورجوازية الامبريالية. لابد أن نقبل أيضا بكون هذا الصراع يشق صفوفه بالضرورة ولا مانص من أن تظهر آراء ومواقف مختلفة حول قضية ما أو جملة من القضايا التي طرحتها تلك الفترة الزاخرة بالاحداث الكبرى وبثلاث ثورات طبعت الاوضاع العالمية لفترة طويلة. وليس من العجيب في شيء أن تظهر داخله تيارات وتجمعات انتهازية ومعادية للحزب. ولو



كان لينين تكتليا لقبل بها وقبل التعايش معها داخل الحزب، لكنه والجميع يعلم أنه قاومه وناضل ضدها حتى آخر يوم في حياته، مدافعا عن نقابة الحزب وثوريه أهدافه وأساليب فضاله وعمله.

وفي المجلس الوطني السابع (الباشفي) المنعقد في 24 أبريل 1917 حضر المجلس 133 مندوبا بأصوات فعلية و18 بأصوات استشارية يمثلون 80 ألف عضو، كشف لينين أمام الحزب عن حقيقة الآراء والمواقف الخاطئة والانهيارية من جملة القضايا المطروحة وقته المتعلقة بالحزب والثورة، الوضع العام بالبلاد، الحرب، والسلم، الحكومة المؤقتة، مجالس السوفيئات، المسألة الزراعية والمسألة القومية... الخ. وأعلن أن مهمة الحزب الراحنة هي تحقيق الانتقال من المرحلة الأولى للثورة «التي أعطت الحكم للبورجوازية» إلى المرحلة الثانية «التي يجب أن تعطي الحكم للبروليتاريا والفئات الفقيرة من الفلاحين». ومعنى آخر هل يتجه الحزب إلى الإعداد للثورة الاشتراكية أم لا؟ وصاغ لينين مهمة الحزب المباشرة في شعار: «كل السلطة للسوفيئات». ووقف كاميناف وريكوف في الصف المقابل مدعير (كالمناشقة بالضبط) أن روسيا ليست ناضجة للثورة الاشتراكية وأن الجمهورية البورجوازية هي وحدها الممكنة في روسيا. ووقف زينوفياف أيضا ضد لينين عندما دعا الحزب الباشفي إلى الخروج من جناح زيمرفالد اليساري للاممية الثانية نظرا إلى أن جل الأحزاب التي شاركت في هذا الاجتماع التحقت ببرجوازياتها «الدفاع عن الوطن»، وإلى طرح شعار «تكوين أممية أخرى: الاممية الشيوعية». كما عارض بيتاكوف وبوخارين موقف لينين والحزب فيما يتعلق بـ «حق الأمم في تقرير مصيرها بنفسها».

وفضح المجلس العام كل هذه المواقف ووافق على الآراء التي قدمها لينين من كل القضايا.

فهل يعد مثل هذا النقاش ومثل هذا الاختلاف في الرأي، والوصول في النهاية إلى موقف موحد، قبولا بالتكتلية؟ كلا أن الاختلاف في الآراء داخل الحزب بإمكانه أن يظهر أمام أي قضية من قضايا الصراع الطبقي. وبحسب بالنقاش الحر والديمقراطي وبحضور الأقلية للأغلبية عندما يتعلق الأمر بمسائل جزئية أو تكتيكية أو تقديرية. أما إذا انتقل الاختلاف إلى الجوهر، إلى المبادئ الأيديولوجية والنظرية وإلى البرنامج فإن الحل يكون أم بطرد العناصر المعارضة لحظ الحزب العام وتقوية صفوفه منها أو بالاشفاق الثوري إذا ما انزلت الأغلبية في مستنقع الانهيارية.

أين هي التكتلية إذن عند لينين فيما يخص الاختلاف مع «البلانشة القدامي»؟. إن ليست موجودة إلا عند «الشيوعيين الثوريين» وأشقاتهم الشرقيين وغيرهم من أعداء الطبقة العاملة والثورة والاشتراكية.

تطورت الأوضاع في روسيا بعد ثورة فيفري 1917، وانتهت مرحلة ازدواجية السلطة لصالح البورجوازية لما انتقلت كل السلطة بين أيدي الحكومة المؤقتة وتحولت مجالس السوفيئات بقيادة المناشقة والاشتراكيين الثوريين - الذين يسميهم العمال بإبدراء «اشتراكيين مسجانيين» - إلى ذيل للحكومة. وانتهت بذلك مرحلة التطور السلمي للثورة وحلت مرحلة الكفاح المسلح. فكان لابد مع تبدل الأوضاع أن يعدل الحزب الباشفي خطه فانتقل إلى السرية وأخذ يعد للثورة المسلحة للإطاحة بالحكم البورجوازية وإقامة السلطة السوفياتية. وفيما بين 26 جويلية و3 أوت 1917 انعقد المؤتمر السادس للحزب، بعد انقضاء 10 سنوات على المؤتمر الخامس وبعد مرور 5 سنوات على المجلس الوطني الباشفي، ودارت أشغاله في السرية. بدأت جلساته الأولى في حي فيبورغ وجلساته الأخيرة في مدرسة بالقرب من باب «نارفا» وكان لينين يقود المؤتمر من مخبئه في كوخ قرب محطة رازليف بالاعتماد على ستالين ومولوتوف وغيرهما من قادة الحزب الثابتهين.

أقر المؤتمر سحب شعار «كل السلطة للسوفيئات» مؤكدا أنه لا يعني التخلي عن النضال في سبيل إرساء سلطة السوفيئات. وأعلن ستالين «أن المرحلة السلمية للثورة قد انتهت وأبليت المرحلة غير السلمية مرحلة المعارك والانفجارات...» وهكذا توجه الحزب الباشفي إلى الإعداد الفعلي للثورة المسلحة.

ولا يمكن أن تجري كل هذه التحولات دون أن تظهر اختلافات في الرأي داخل الحزب، ودون أن يظهر أناس أركتهم البورجوازية فعارضوا خط الحزب. وكان بربو براجنسكي (التروتسكي) أول الداعين إلى الإشارة في القرار المتعلق بالاستيلاء على السلطة أنه لا يمكن القيام بثورة اشتراكية إلا إذا اندلعت الثورة في أهم البلدان الأوروبية. رفض المؤتمر اقتراحه ورد عليه ستالين بقوله:

«ليس هناك ما ينبغي امكان أن تكون روسيا بالذات هي البلد الذي يشق الطريق إلى الاشتراكية ينبغي نبذ الفكرة البالية القائلة بأن أوروبا وحدها يمكن أن تدلنا على الطريق. هناك نوعان من الماركسية، ماركسية عقائدية جامدة وماركسية حية، وأنا أقف في صف الأخيرة».

أما بوخارين فقد زعم أن الفلاحين متكتلون مع البورجوازية ولن يتبعوا الطبقة العاملة. ورد عليه ستالين بأن الفلاحين منقسمون إلى صنفين الأغنياء الذين يؤيدون البورجوازية والفقراء الذين يؤيدون الطبقة العاملة ويتحالفون معها في النضال من أجل انتصار الثورة الاشتراكية.

وعالج الحزب هذه الخلافات بالنقاش وحسمها طبقا لإرادة الأغلبية:

«ووافق المؤتمر السادس على قبول جماعة «المجر أيونيسي» (ما بين الفروع) وزعيمهم تروتسكي في الحزب وكانت هذه الجماعة الصغيرة موجودة في بتروغراد منذ عام 1913 وكانت مؤلفة من منشفيك وتروتسكيين وعدد من البلاشفة القدماء الذين كانوا قد تركوا الحزب. وكان موقف هؤلاء «المجر أيونيسي» أثناء الحرب موقف منظمة وسطية، كانوا يناضلون ضد البلاشفة ولكمهم على خلاف مع المنشفيك حول نقاط عديدة، أي أن موقفهم كان موقفاً يتوسط قطبين، موقفاً وسطياً متزهداً. لقد أعلن «المجر أيونيسي» في المؤتمر السادس، أنهم منشفيون والبلاشفة على كل النقاط وطلبوا قبولهم في الحزب فاستجاب لطلبهم ظناً منه أنهم ربما أصبحوا مع الأيام بلاشفة حقيقيين. وبالفعل أصبح البعض منهم مثل فولد ابرنيسكي وأورنيسكي وآخرين أيضاً بلاشفة بينما تروتسكي وبعض أصدقائه القريبين دخلوا الحزب لا بهدف العمل لفائدته بل لتعزيق أوصاله ونسفه من الداخل»<sup>(65)</sup>.

لم تسند العضوية لتروتسكي وجماعته باعتبارهم كتلة لها أرضيتهم الخاصة المعارضة للحزب بل تم على أساس تخليهم عن أرضيتهم الخاصة وبعد أن تبوأوا برنامج الحزب وخطته ونظامه الداخلي. فإين التكتيلية أو القبول بها في شأن تروتسكي وجماعته عند لينين والبلاشفة؟ إنها موجودة فقط في دعاوي «الشيوعيين الثوريين» الباطلة وأمنالهم من أتباع الاممية الرابعة التروتسكية.

إن عودة تروتسكي الى صفوف الحزب لا غرابة فيه اذا علمنا ان الثورة جلبت الى الحزب أعداداً غفيرة من المناضلين الذين لهم أصل طبقي بورجوازي صغير (متقنين وكادحين وفلاحين... الخ) وآخرين كانوا ينتمون الى منظمات وأحزاب بورجوازية صغيرة (مناشفة، اشتراكيين ثوريين وغيرهم). ولم يجد الحزب الوقت الكافي لاعادة تربيتهم لانشغاله بالأوضاع الصعبة التي أصبحت تواجهها دولة دكتاتورية البروليتاريا (العدوان الامبريالي، الحرب الاهلية، الحزب الاقتصادي... الخ) فوجد المندسون الفرصة سانحة لتكوين فرقهم الخاصة المعادية للحزب، وهكذا ظهر على التوالي التروتسكيون و«الشيوعيون اليساريون» بزعامة بوخارين، في النقاش حول صلح برست ليتوفسك، حين رفعوا شعار «لا حرب ولا سلم» (شعار رفعه تروتسكي) «الحرب الثورية الفورية ضد الامبريالية» (شعار رفعه بوخارين) لذلك شنوا حرباً ضد توقيع المعاهدة. يقول لينين :

ساعداً (تروتسكي وبوخارين) في الواقع الاستعماريين الا لالان، وعرقلاً تقدم الثورة وتطورها في ألمانيا».

(65) نفس المصدر - ص 283

ولأجل تصفية مسألة السلام بصورة نهائية عقد الحزب مؤتمره السابع الذي افتتح أشغاله في 6 مارس 1918 حضره 46 مندوباً بصوت فعلي و58 مندوباً بأصوات استشارية يمثلون 145 ألف عضو. في حين كان عدد أعضاء الحزب إذ ذاك ما لا يقل عن 270 ألف. وسبب هذا الفرق هو الحاجة عقد المؤتمر في أسرع وقت ممكن الامر الذي حرم العديد من المنظمات الخيرية من بحث عمليتها عنها. بالإضافة الى عدم تمكن المنظمات في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الألماني من الانحياز بالمؤتمر.

وافق المؤتمر على مقترح لينين حول اتفاقية صلح براست ليتوفسك، واستنكر مواقف وأعمال تروتسكي وبوخارين و«الشيوعيين اليساريين» وحذرهم من مغبة متابعة عملهم الانقسامي.

وظهر في المؤتمر التاسع جماعة «المركزية الديمقراطية» التي وقفت ضد القيادة الموحدة في الصناعة وضد المسؤولية الشخصية للمدبري الصناعة ودافعت عن فكرة «قيادة جماعية» لا حدود لها، وعن عدم تعيين تحديد المسؤولية في قيادة الصناعة، فلم تجد نظرياتها صدقاً يذكر ورفضت مواقفها.

ومع تعقد الأوضاع وتفاقم الصعوبات أمام الدولة السوفياتية الفتية ظهرت فرقة جديدة «المعارضة العمالية».

وهكذا وجد الحزب نفسه في المؤتمر العاشر أمام فرق صغيرة معارضة للحزب تعرقل نشاطه وتبث البلبلة في صفوفه برز زعماءها كهواة مناقشة حاولوا ابعاد الحزب عن العمل وفرضوا عليه مناقشات في غير وقتها فكان على الحزب أن يضع حداً للمهازلات والتكتلات الانتهازية داخله، وكان على اللينينية أن تستكمل نظريتها حول الحزب وذلك بتقنين رعاية وحدته في النظام الداخلي.

وفي هذه الأوضاع انعقد المؤتمر العاشر في 8 مارس 1921، وحضره 694 مندوباً بأصوات فعلية يمثلون 521، 733 عضواً كما حضر 296 مندوباً لهم أصوات استشارية. وافتتح لينين المؤتمر بقوله: «إن المناقشة كانت ضرباً من الترف غير المقبول وأن الاعداء كانوا يضعون كل أملهم في بث الانقسامات داخل الحزب بهدف الوصول الى أغراضهم الخاصة».

وأمام هذا الخطر الذي أصبح يهدد وحدة الحزب ودكتاتورية البروليتاريا من جراء وجود هذه الفرق، اهتم المؤتمر اهتماماً خاصاً بقضية الوحدة واستنكر الاعمال الانقسامية لجميع الفرق وأشار الى أنها «في الواقع كانت تساعد أعداء الثورة البروليتارية الطبقيين «واقتر» في النظام الداخلي منع التكتلات وأكد «ان من لا يتضبط لهذا القرار يرفق من الحزب مباشرة»

ومنذ ذلك التاريخ أصبح قرار المؤتمر العاشر بندا من البنود المبدئية التنظيمية التي تقوم عليها الأحزاب اللبينية، وأصبح يمثل خط الفصل بينها وبين الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية.

لم يكن قرار منع التيارات والكتل داخل حزب البروليتاريا وليد أوضاع ظرفية (صعوبات الدولة السوفياتية) بل كان في الأساس تمتعاً للمبادئ التنظيمية للحزب المجمع في قوانينه الداخلية. وهو في تطابق تام مع نظرية الحرب اللبينية.

لكن لماذا لم يظهر هذا الإجراء من قبل كما هو الشأن بالنسبة للفقرة الأولى من النظام الداخلي؟ يتبين الدارس لتاريخ البلشفية عامة ولنظرية الحرب اللبينية خاصة (باعتبارها موضوع الدراسة الحالية) أن وضعها استوجب ما يزيد عن العشر سنوات. أنها لم تنجز دفعة واحدة بل تمت على مراحل وذلك حسب تطور الصراع الفكري والنظري والأيديولوجي والسياسي والتنظيمي داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية الممثلة في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي وداخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية العالمية. وحسب تطور الصراع الطبقي.

كانت الفقرة الأولى من النظام الداخلي أول نقطة صدام مع الانتهازية التنظيمية المشقية لأنها تمس مباشرة حدود الحزب وبالتالي طبيعته بينما لم تظهر الحاجة إلى تقنين حظر الكتل لا في طور التأسيس (1898 - 1912) ولا في السنوات الأولى من حياة الحزب البلشفي، لأن البلاشفة كانوا موحدين ومشدودين بمبادئهم النظرية والسياسية والتنظيمية ومعالجون خلافات الرأي طبقاً لقانون المركزية الديمقراطية ولم يعرف الحزب الكتل إلا بعد انتصار الثورة التي اجتذبت إلى صفوفه أعداد كبيرة من العناصر التي انتمت إلى الفرق البورجوازية الصغيرة. وتشكل العديد من هذه العناصر في مجموعات وفروق معادية للحزب، عندها تبين لبين ومعهم الحزب البلشفي الحاجة الماسة إلى استكمال النظام الداخلي بسند يحجز الكتلة والتيارات قماشياً مع جملة المبادئ الأيديولوجية والنظرية والسياسية والتنظيمية للحزب ومع طبيعته الطبقية. وهو يدل على أن قرار المؤتمر العاشر لم يكن ظرفياً بل كان دعماً وتثبيتاً لوحدة الحزب وحمايته من مخاطر التكتل والانقسام. وهو إجراء يمكن الحزب من سلاح ضد كل أعدائه الداخليين وعملاء البورجوازية المتسللين إلى صفوفه بهدف تقسيمها وتشتيتها.

وبذلك تكون قد بينا بالاعتماد على الماركسية اللبينية وعلى التجربة التاريخية وعلى الأحداث والوقائع أن مزاعم التروتسكيين (الشويعيين الثوريين وغيرهم) القائلة بأن الحزب اللبيني مبني على أساس التعدد والتكتل والتيارات... الخ باطلة ولا صلة لها بالماركسية

اللبينية بل هم استعاروا مبادئهم من الاشتراكية الديمقراطية الإصلاحية. ومثلهم التنظيمي الأعلى يبقى نمط الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تحولت منذ العقد الأول لهذا القرن من أحزاب ثورة إلى أحزاب إصلاحات.

## II - «الشويعيون الثوريون» وطبيعة الثورة القادمة:

ارتكب «الشويعيون الثوريون» في تحديدهم لطبيعة الثورة القادمة خطأين فادحين من الزاوية النظرية والسياسية، يتعلق الأول بطبيعة السلطة القائمة والثاني بمراحل الثورة.

### 1 - حول طبيعة السلطة القائمة :

لم يرتكب تروتسكيوناً في الحقيقة خطأ في تحديد طبيعة السلطة القائمة بل كان كامل بنائهم النظري خاصاً لقوالب جامدة استفوها من تروتسكي وساعدهم في صياغتها على الوجه الأكمل أشقاؤهم اللبانيون جماعة «التجمع الشيوعي الثوري» فاذا بسلطة حزب الدستور «بونابارتية» وإذا بيورقوية «بونابارت» تونس. ومقتضى ذلك أعيدت قراءة التاريخ بما يتناسب وهذا القالب. فكان ولا بد أن يجد لنا الجماعة صياغة خاصة بظهور البونابارتية في تونس ووجدوا ضالّتهم في ترجمة بعض الأحداث والظواهر على هواهرهم.

وقبل أن نتناول بالرد على تزويرهم للتاريخ والوقائع نود وضع النقاط على الحروف

حول ظاهرة «البونابارتية».

**أولاً :** كان ماركس تناول ظاهرة «بونابارت» بالتحليل باعتبارها إفرازا جديدا من إفرازات الصراع الطبقي. لقد بين أن الطبقات المتصارعة على السلطة السياسية بالامكان أن يصل ميزان القوى فيها بينها إلى نقطة التوازن بحيث لا غالب ولا مغلوب، عندها تظهر السلطة وكأنها فوق الطبقات لا هي بورجوازية ولا هي «شعبية». وأكد ماركس أن هذا التوازن لا يمكنه أن يعمر طويلا، ولا بد أن يحسم في النهاية لصالح إحدى الطبقتين المتصارعتين. ويتحول أصحاب السلطة من موقع «ما فوق الطبقات» إلى رجال تنفيذ لسياسة الطبقة التي هيمنت في نهاية المطاف وتحول ميزان القوى لصالحها.

إن التاريخ لم ينجب فقط بونابارت بل أنجب كيرانسكي في الثورة الروسية الثانية في فيفري 1917. ألا أن ميزان القوى الذي مال إلى جهة البورجوازية الروسية بعد مرحلة ازدواجية السلطة، سرعان ما قلبته البروليتاريا لصالحها وتمكنت من إرساء سلطتها الخاصة بينما حسم في عهد بونابارت لصالح البورجوازية الفرنسية التي أغرقت الطبقة العاملة في الدم.

إننا إذا قبلنا بمنطق الأشياء واعتمدنا المادية الجدلية والمادية التاريخية في تحليل الظواهر

نلاحظ بدون عناء أن ظاهرة بونابارت عابرة أنتجتها ميزان القوى المتبادل بين البورجوازية وبين البروليتاريا وتزول هذه الظاهرة باختلال التوازن في هذا الاتجاه أو ذاك.

كيف اكتشف اذن «الشيوعيون الثوريون» أن السلطة في تونس بونابارتية سواء في «عز شيبها» أو في «شيوخوها وتعفتها»؟ فهل ظل ميزان القوى متعادلا خلال 30 سنة وزيادة من الحكم البورقيفي؟

ثانيا : عندما حُلل ماركس الظاهرة البونابارتية لم يكن جهاز الدولة البورجوازي متقلبا بيروقراطية ساهرة على شؤونها وذلك لأن البورجوازية مازالت تعمل على تطوير أجهزتها وجعلها تتلاءم والدور الذي أصبحت تلعبه في المجتمع، ولم تظهر البيروقراطية بشكل مكثف في فرنسا البورجوازية إلا مع بونابارت فكانت ظاهرة جديدة في جهاز الدولة. لذلك رأى ماركس وأنجلز امكانية مرور أجهزة السلطة، في أمريكا مثلا، بين أيدي البروليتاريا، بصورة سلمية لأنها لم تتحول إلى آلة خاصة بظاهرة قائمة على كاهل المجتمع، كما هو الشأن بالنسبة لفرنسا، بل كانت تركز على اللجان الشعبية التي لم يتم انتحائها كما لم يكن هناك جيش خاص بل كان يعتمد على التطوعين من الشعب المسلح.

وعندما تطور جهاز الدولة وأصبح أكثر تنظيما (ادارة، بوليس، جيش، سجون... إلخ) لم تعد ثمة امكانية لتحول السلطة بصورة سلمية بين أيدي الطبقة العاملة ولم يعد لا الجيش المنظم ولا البيروقراطية ولا البوليس ولا السجون وغيرها، ظواهر لم تكتمل بل أصبحت أدوات ملازمة للدولة البورجوازية لذلك طرح ماركس وأنجلز تحطيم جهاز الدولة البورجوازي تحطيمها كاملا وتعويضه بآخر يمثل ويدافع عن مصالح البروليتاريا.

ثالثا : كان ماركس حُلل ظاهرة بونابارت في أواسط القرن الماضي تحليلا عميقا وفسر كل الافرازات الجديدة للصراع الطبقي في حين أن جماعتنا التروتسكية أعادت بعد قرن وثلاث القرن، تحاليل ماركس لسير الصراع الطبقي في فرنسا وأكثر من ذلك وضعت أهم استنتاجاته وملاحظاته في قوالب جامدة سلطتها على الواقع في بلادنا.

لقد نسي «الشيوعيون الثوريون» أن ماركس حُلل البونابارتية في عصر الرأسمالية التنافسية، بينما نعيش عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية، عصر أصبح فيه جهاز الدولة البورجوازية متطورا بدرجة كبيرة، تستعمل فيه الطبقات السائدة وفي جميع الوظائف تقريبا أخصائيين يدافعون عن مصالحها، في عصر أصبح جهاز الدولة يحتكر جزءا من وسائل الانتاج وفي بعض الاحيان يحتكرها جميعها، وذلك بحكم اندماج الاحتكارات الكبرى بجهاز الدولة ذاته.

ان النقل النصي للماركسية يعدّ تحريفا لها وانحدارا بها الى مصاف «الكتب المنزلة».

وهو بالتالي معاداة لها لا أكثر ولا أقل. ولاطلاع المناضلين والقراء بصفة عامة على صورة من هذا النقل لدى أشقاء الجماعة اللبنانيين نورد هذا الاستشهاد الطول:

«وقد ميز ماركس وأنجلز بين أنواع شتى من البونابارتية كتميزها بين بونابارتية نابليون الاول «الثورية» وبونابارتية لويس بونابارت المحافظة المحطة.

إن دراسة مؤلف ماركس الشهير «الثامن عشر من برومير لويس بونابارت» هي خير مدخل إلى فهم طبيعة الأنظمة العسكرية القومية التي شهدتها منطلقنا العربية. فسوف نجد الدارس أن جميع العناصر الأساسية التي شكلت الظاهرة الناصرية والظواهر الشبيهة بها موجودة في الظاهرة التي حلّتها ماركس : الانقلاب العسكري، الاستناد إلى الفلاحين التمسكين بقطعة الأرض، البيروقراطية، الاستفتاءات الشعبية... إلخ.

وكل من يقرأ في منطقتنا الأسطر التالية لا يمكنه اغفال مدى انطباقها على الظواهر الرائجة عندنا. وهي الأسطر التي يجدد فيها ماركس مييزات السلطة البونابارتية بوصفها بيروقراطية تحكم بالنابة عن البورجوازية، من حيث الجوهر :

البيروقراطية الضخمة، التي تنعم بالحلل الموشاة والطعام الطيب، إنها هي أقرب «فكرة بونابارتية» إلى نفس البونابارت الثاني. وكيف يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك ونحن نراه مرغما على أن يخلق إلى جانب الطبقات الفعلية في المجتمع فئة مغلقة اصطناعية تصبح المحافظة على حكمه بالنسبة لها مسألة رزق وعيش».

«وأخيرا إن «الفكرة النابوليونية» الجمهورية هي غلبة الجيش. إن الجيش كان مناط العزة للفلاحين الصغار : كان الجيش يجعل منهم أبطالاً يدافعون عن ممتلكاتهم الجديدة ضد الاعداء الخارجيين ويجدون الوحدة القومية التي اكتسبوها مؤخرا، وينهبون الدنيا وينفخون فيها روح الثورة...»

هذا بالنسبة لجيش «البونابارت الثاني» يستطرد ماركس قائلا :  
«فالجيش نفسه لم يعد زهرة شباب الفلاحين إنه زهرة مستنقع حالة البروليتاريا «الريفية»،... إن مهمة هذا الرجل المتناقضة هي تفسير الإجراءات المتناقضة لحكومته التي تتصرف على غير هدى وتسمى تارة لتكسب وطورا لتذل أولا هذه الطبقة ثم تلك، وتنتهي إلى جعلها تنفض جميعا ضلله في آن واحد...»<sup>(66)</sup>.

يلاحظ القارئ، وهو يتتبع هذه الفقرات كيف جعل التروتسكيون من ظواهر لاحظها ماركس في أواسط القرن الماضي قوالب ومقاييس عامة يقرؤون بها ظواهر ظهرت في الشطر

(66) مسائل النهج الثوري «التجمع الشيوعي الثوري في لبنان» - ص 4 - 5

الثاني من القرن العشرين : الجيش البورقراطية، وعجزوا عن فهم الاستخلاصات العامة التي خرج بها ماركس في ابداعه «الثامن عشر من برومير» ولم يقدروا على فهم أهمية التحليل الملموس للواقع الملموس الذي مكّن ماركس من فهم الظاهرة البورقراطية وتجنب الجمود العقائدي والنصية. فقادهم تخبطهم للماركسية والقوالب الجامدة التي اقبسوها وأول ما بدأوا بالبحث عن يعطونه دور «البورقراطية» حتى وإن لم يكن عسكريا ووجوده في شخص بورقضية. ورد في «الشرارة» ما يلي :

«في هذه الظروف (أي تحول تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة - من عندنا) شهد دور بورقضية تغييرا تدريجيا. ففي صلب المسكر «البورقضي» نفسه أصبح بورقضية يمثل الحكم بين مختلف التوجهات وعبر تجاوزه لآطار الاستقلال الداخلي وبتنبي العديد من الاجراءات الديمقراطية البورجوازية والوطنية على المستوى السياسي والاقتصادي أي عبر تحقيق جزئي «لبرنامج» بن يوسف استطاع بورقضية اعتلاء موقع موضوعي كان فوق كلا المسكرين الموجودين وبذلك صار الحكم الاكبر والموحد. لكن بعلوة عن المسكرين فإن بورقضية لم يبنوا فقط موقعا فوق معسكر «قومي» وآخر «استعماري جديد» لأن طبيعة هذين المسكرين لا تخضع لمثل هذا التقسيم البنائي بل إن بورقضية قد اعتلى موقعا فوق التصديق الذي اعتزى كلا المسكرين التناقض بين الطبقات والقوى «الملكية» و«الما قبل رأسمالية» الرجعية والقوى التي كانت تنطوع إلى تطور الرأسمالية وبناء «دولة عصرية» (على غط الملكية الدستورية أو الجمهورية). إن بورقضية لم يتمكن من فرض نفسه كحكم أكبر إلا في خضمّ سيرورة شهدت تداخلا لاجراءات «ديموقراطية وطنية» وقسما للحركة اليوسفية وفيها بعد لكل نفس معارض<sup>(67)</sup>.

ولتأكيد وجهة استنتاجاتهم استشهدوا بتدخل لأحمد بن صالح في المجلس التأسيسي لما تمّ تكليف بورقضية بتكوين الحكومة حين قال :

«إن أول رئيس للحكومة سوف يبقى دائما قائدا وحكما يبتنا عند اختلافنا»<sup>(68)</sup>.

وأضاف الجماعة :

«وهذا عبر الكاتب العام للاتحاد العام التونسي للشغل في هذه الكلمات عن جوهر النظام الذي يراود بناؤه»<sup>(69)</sup>.

كان لا بد للجماعة أن يصنعوا كيانات سياسية تخلق لهم توازنهم في نطاق القوالب

(67) «الشرارة» عدد 2 - ص 32

(68) نفس المصدر - ص 35

النظرية البالية التي يتبنونها فأخرجوا بورقضية من حلبة الصراع وجعلوه فوق الطبقات ومثلا لما جميعا وحكما بينها.

بورقضية الذي قاد تحول تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة على رأس توازنه في حزب الدستور، هذا الشق الذي أصبح يحمل اسم الحزب الأب بعد أن أخذ مقاليد السلطة وفكك الحركة اليوسفية. لم يعد يمثل لا البورجوازية الصغيرة ولا الحركة الوطنية، بل أصبح يمثل مصالح البورجوازية العميلة ومصالح الاحتكارات والامبريالية العالمية. بورقضية كان رأس حربة هذا التحول ومع ذلك ينشله «الشويعيون الثوريون» ليضعوه فوق الجميع.

لقد اعتمدوا في ذلك على الصراعات التي ظهرت قبيل المجلس التأسيسي وبعده داخل حزب الدستور - الشق البورقضي - حول المدى الذي سناخذه الحريات في دستور البلاد وحول العلاقة بين الجهاز التنفيذي والجهاز التمثيلي... الخ وهي مسائل تتعلق بالشكل الذي سناخذه سلطة الدولة : الشكل الفاتحي أم الشكل الليبرالي.

كان بورقضية مع مخلصه يدافعون عن الشكل الدكتاتوري الفاتحي لكن ليس بالصورة المكشوفة، بل غلفه «بالثقة» الواجب توفرها في الزعيم... الخ. بينما لم يكن للمدافعين عن الشكل الليبرالي رأس يلتفون حوله، سرعان ما تراجعوا أمام الضغط الذي مارسه بورقضية عليهم.

ومع فشل تجربة الليبرالية الاقتصادية في نهاية الخمسينات وظهور «الاشتراكية الدستورية» كان بورقضية خطا يحزبه خطوة حاسمة في مصادرة الحريات العامة فوضع كافة المنظمات الجماهيرية تحت مراقبته وحول «الاقتراع» و«التمثيلية» إلى عملية شكلية ومسرحية للمناظرة والتمويه ولتزكية وتشريع إرادة الطغمة المسككة بالسلطة وبذلك يكون بورقضية قد مرّ بالسلطة من الشكل «النويليرالي» إلى الشكل الفاتحي.

يكون من الخطأ الاعتقاد أن تحالف الشق البورقضي مع القادة النقابيين ومع بعض الوجوه الليبرالية والوطنية التي ارتكبت لم يكن ذا أثر على سياسات السلطة الجديدة حتى أواخر الخمسينات. لقد أجبر على القيام ببعض التنازلات - بالإضافة إلى ثقافته الخاصة - للحركة النقابية والحركة الشعبية فقام باصلاحات (تعليم، صحة، مرآة... الخ) وأجبر على الاسراع بعقد اتفاقية «الاستقلال» وأفرغه من محتواه وذلك في 20 مارس 1956. كان في حاجة إلى مثل هذه الاصلاحات كي يشدّ إليه الطبقة العاملة والشعب ويسحب البساط من تحت أقدام معارضييه اليوسفيون والليبراليون والزعماء النقابيين الذين أصبحوا يطالبون باصلاحات أعمق. فكسب منهم ما يمكن كسبه وأباد البقية بالقمع والارهاب

والاغتيالات... الخ. ومن هذه الزاوية يمكن القول أن سنوات 1956 إلى 1961، كانت سنوات تحول بطيء في ميزان القوى بين الطبقات وفي شكل السلطة الذي يكرسه وشهدت سياسة السلطة خلال هذه الفترة كثيرا من الاضطراب وسببه لا يعود إلى الصراع الحاد بين البورجوازية والطبقة العامة أو إلى توازن القوى فيما بينها، بل يعود بصفة أساسية إلى الصراع في صفوف البورجوازية نفسها، وبين ممثليها أي بين الشق اليسفي الذي كان يمثل البورجوازية الوطنية والشق البورقيبي الذي يمثل البورجوازية العميلة والامبريالية. و يحسم أمر هذا الصراع نهائيا إلا في أواخر الخمسينات. ويعود الاضطراب في سياسة السلط أيضا إلى صراع النفوذ في صفوف الشق الماسك بالسلطة.

كانت الطبقة العاملة أيام حركة التحرر الوطني تحت قيادة البورجوازية الصغيرة، أي في النهاية تحت قيادة البورجوازية المعارضة للاستعمار المثلثة وتقدناك في «البورجوازية الوطنية» ثم تذبذبت إلى الشق البورقيبي الذي عقد حلفا مع القادة النقابيين ضد صالح بر يوسف في نطاق المشروع الاستعمار الجديد. وهو لدليل قاطع على أن السلطة الجديدة، تكن نتاج توازن القوى في الصراع الذي قابل البورجوازية بالطبقة العاملة حتى تكور بونابارية بل كانت سلطة البورجوازية العميلة وأداتها حزب الدستور بزعماء بورقية. أير هي إذن البونابارية في النظام البورقيبي ؟ إن الاضطراب جلي في تقديرات الجماع التروتسكية للنظام السياسي في بلادنا فهم يؤكدون مرة على بوناباريته وطورا يفنون ذلك يقولون في مشروع برنامجهم :

«لقد أدت اتفاقية 1956 إلى انتقال الهيمنة الامبريالية على بلادنا من شكلها المباشر إلى شكل غير مباشر. وقد أصبحت تونس على اثرها في مصاف المستعمرات الجديدة. وقاد بالدور الأساسي في هذا التحول حزب الدستور الذي استطاع تصفية المعارضة لتلك الاتفاقيات والهيمنة على المنظمات الجماهيرية بمون أكيد من الامبريالية، وشرع في بناء دولة بورجوازية استعمارية جديدة مستعملا ومطورا المؤسسات والاجهزة التي تركه الاستعمار المباشر، هذه المؤسسات التي ظهرت منذ البداية كمؤسسات قمعية ولم تكن قط من قبيل الديمقراطية البورجوازية...»<sup>(69)</sup>

لقد أكد «الشبيوعيون الثوريون» على أن الدولة هي دولة استعمارية جديدة وأصافو أن السلطة معقدة لحماية مصالح البورجوازية ورعايتها عن طريق «مؤسساتها القمعية» الموجهة ضد الجماهير. والبونابارية حسب تعريفهم تقمع هذه الطبقة وتلك وتدافع عن

مصالحها في نفس الوقت. أين هي البونابارية في السلطة التي تدافع عن البورجوازية وتقمع الطبقة العاملة؟ هل بالامكان أن تكون فوق الطبقات؟ ومع ذلك وجدوها : «إن بونابارية السنوات الأولى للنظام المستندة للطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة الراديكالية لم تعد غير ذكرى بعيدة (وكأننا بهم يتحسرون عليها - من عندنا -) ومن البونابارية لم تبق غير البونابارت الأقل وجهاز بيروقراطي مركّز على بورجوازية صغيرة جبانة ونفعية»<sup>(70)</sup>

غريب أمر الجماعة الذين اكتشفوا البونابارية بعد أكثر من 30 سنة من الحكم البورقيبي، استشرت فيها كل العناصر ذات الاصل البورجوازي الصغير وأصبحت من مكونات البورجوازية الكبيرة العميلة. ومع ذلك يواصل التروتسكيون الحديث عن البونابارية «الشابة» و«الأفلة». إنهم مجهلون أن سلطة رأس المال التي يندغم فيها دور المؤسسات التثيلية وتصادر فيها حرية التنظيم والتعبير والتظاهر... إلخ. ويستحوذ فيها الحزب الحاكم على المنظمات الجماهيرية، ويحكم فيها الشعب بالقمع والارهاب هي سلطة فاشية. ومن الأكيد أن جماعتنا التروتسكية تخاطب بين البونابارية والفاشية، ولا يفهمون أن هذه الاخيرة هي شكل من أشكال سلطة الدولة البورجوازية.

إن كل خطأ في تحليل طبيعة السلطة القائمة تنمّج عنه بدون أدنى شك سياسة خاطئة تؤدي بأصحابها إلى مازق أو إلى الصف المعادي للثورة. والجماعة التروتسكية لم تقم بخطأ في قراءة الواقع بل طوعته لقولهاها الجاندة وصفتها حسبا بخدم مصالحها السياسية. ومن دون شك أن «الشبيوعيين الثوريين» يتذكرون نظرية «الدخولية» التي دعا لها أقطاب التروتسكية في منظمة «آفاق - العامل التونسي» ونظرية «المساندة النقدية» التي يدعو لها الحزب «الشبيوعي» التونسي. وفي سنوات «سياسة التفتح» دخل «الماركسيون الثوريون» أو «الشبيوعيون الثوريون» «التجمع الاشتراكي» الذي كان صنيعة «الفتح».

ظهرت كل هذه المواقف في صلب «اليسار الماركسي» لأن كل هذه المجموعات عوضت الماركسية اللينينية بالقولاب الجاندة وأضاف إليها انتهازتها السياسية والتفعية والجن في بعض الاحيان. وعلى هذا النحو يتحول المدعون على الثورة والشبيوعية إلى مجرد عملاء للبورجوازية، وخربين لصفوف الثورة.

2 - علاقة الثورة الديمقراطية الوطنية بالثورة الاشتراكية، والقوى المحركة لها :

أ- كيف عجز تروتسكيونا عن فهم طبيعة الثورة المقبلة :

يقول «الشيوعيون الثوريون» في ورقة برنامجهم :

«لقد أدت اتفاقيات 1954 إلى انتقال الهيمنة الامبريالية على بلادنا من شكلها المباشر إلى شكل غير مباشر. وقد أصبحت تونس على اثرها في مصاف المستعمرات الجديدة. وقد قام بالدور الأساسي في هذا التحول حزب الدستور الذي استطاع تصفية المعارضة لتلك الاتفاقيات والهيمنة على المنظمات الجماهيرية بعون أكيد من الامبريالية وشرع في بناء دولة بوجوازية استعمارية جديدة مستعملا ومطورا المؤسسات والأجهزة التي تركها الاستعمار المباشر»<sup>(71)</sup>.

يذهب إلى ظن كل مطلع على هذه الاسطر ان الجماعة يتحدثون عن الهيمنة الامبريالية على بلادنا، وعن تحول تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة، وكأنهم يريدون التلليل على أن مهمة التحرر الوطني والقضاء على الهيمنة الامبريالية مازالت قائمة كاحدي المهمتين الاساسيتين للثورة القادمة باعتبار أن الامبريالية كما هو واضح من خلال التحليل تمثل العائق الرئيسي أمام تطور القوى المنتجة في البلاد وأمام تحقيق مطامح شعبنا في العزة والكرامة الوطنية وفي استقلال فعلي. ويضيف الجماعة :

«... أما المسألة الفلاحية التي تحتل في بلادنا كما في عدة بلدان أخرى أهمية فائقة فيمكن القول أن البورجوازية الحاكمة لم تقم باصلاح زراعي جذري، بل إن ما قامت به هو مواصلة لما بدأه الاستعمار المباشر من تركيز لعلاقات الانتاج الرأسمالي في قطاعات واسعة من الريف التونسي ليغذي مصالح البورجوازية المحلية والاحتكارية...»<sup>(72)</sup>. وكان «الشيوعيون الثوريون» يريدون شد انتباهنا إلى أهمية دور الفلاحين في الثورة، ب أنهم يقرون أن الاصلاح الزراعي لم يتم وأن بقايا أنماط الانتاج ما قبل الرأسمالي مازالت موجودة في المدينة والريف، الأمر الذي يجعل القارئ يتصور أن «أصدقائنا» يضعون المهمة الديمقراطية في المكانة التي تعود لها في الثورة القادمة باعتبارها مهمة أساسية، خاصة وأن جمهور الفلاحين يشكل الغالبية في الريف وفي المجتمع.

إن الثورة القادمة ببعديها الديمقراطي والوطني تهم الشعب بأسره. لذلك فإن أي حزب ثوري لا يضع في برنامجه انجاز هاتين المهمتين يفقد طابعه الثوري. لنر أين وضعه

(71) الشراة عدد 1 - ص 13

(72) نفس المصدر السابق - ص 13

تروتسكيونا في برنامجهم ؟ يقولون :

«... الثورة في البلدان المتخلفة ومنها تونس هي ثورة دائمة بمعنى اشتراكية في

الأساس تحل عرضا خلال سيرورتها المهمات الديمقراطية بقيادة الطبقة العاملة وسلطتها

تكتاتورية البروليتاريا الديمقراطية الثورية. (...)

إن المجتمع التونسي هو مجتمع رأسمالي تابع وأن نخط الانتاج المهيمن في التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية هو نخط الانتاج الرأسمالي وبالتالي فإن الثورة القادمة ستكون اشتراكية في الأساس من حيث قيادتها الطبقة ومضمونها السياسي ومهامها الاستراتيجية»<sup>(73)</sup>.

وفي البيان البرنامج استنتجوا مهام أخرى :

«إن علاقات الانتاج في بلادنا تشكل نخط انتاج رأسمالي تابع ومرتبطة عضويا بالامبريالية ويتبع عن هذا يجعل المهام الاستراتيجية وهي كالآتي :

أ - المهام الوطنية والمتمثلة بالأساس في ضرب الهيمنة الامبريالية على بلادنا.

ب - المهام الديمقراطية وتتمحور حول نقطتي الاصلاح الزراعي والمجلس

التأسيسي»<sup>(74)</sup>.

لم يتوقف التضارب لدى «الشيوعيين الثوريين» عند حدود تحديد المهمة ونقيضها بل تجاوزوا إلى تحليل المجتمع وتحديد طبيعة الثورة. لقد أقروا أن تونس مستعمرة جديدة تهيمن عليها الامبريالية وأن الاصلاح الزراعي لم ينجز وكل ما في الامر أن النظام الجديد واصل دور البورجوازية الاحتكارية. ومعالجة هذا الوضع منطقيا من قبل الثورة يقتضي انجاز المهمتين الرئيسيتين التاليتين : التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي. وهما تحددان المرحلة الاستراتيجية التي تمر بها الثورة وبالتالي طبيعة هذه الاخيرة. لكن الجماعة لاسموا المهمتين الاساسيتين مجرد ملازمة وقفروا على الواقع. وعوض اقرارهم بأهمية انجاز الثورة على أحسن وجه في مرحلتها الاولى باعتبارها توفر القاعدة الثانية، تجاهلوا أو قل دمجوها مع مهام المرحلة الموالية. فأصبحت طبيعة الثورة القادمة ثورة «اشتراكية دائمة» تتولى انجاز المهام الوطنية والديمقراطية عرضا في طريقها. وخطأ «أصدقائنا» أنهم لا يعرفون امكانية لتحقيق الثورة على مراحل الامر الذي أدى بهم إلى تصور أحادي يحرق المراحل ولا يعترف بغير «الثورة الاشتراكية الدائمة».

(73) الشراة عدد 2 - ص 16

(74) الشراة عدد 1 - ص 13

هناك أحد أمرين، إما أن الجماعة يجهلون اللبينية والستالينية ومقررات الأمية لثالثة - ولا عذر لهم عن جهلهم - أو أنهم يزيفونها عنوة وبحرفونها، وفي كلتا الحالتين يقفون على جانب البورجوازية ضد الطبقة العاملة. إن الخلاف أو الجهل سرعان ما ينقلب على صحابه عند انجلاء الحقيقة. والقائع تبين أن تروتسكين لم يجرؤوا أنفسهم ولا قراءهم ولا حتى متطلبات الحقيقة العلمية.

كان لينين أول من وضع فكرة امكانية تحويل الثورة البورجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية في 1905، محسباً بذلك فكرة الثورة الدائمة الماركسية، يقول لينين : «... دون أن نسقط في المغامرة ودون أن نخون وعينا العلمي أو نلهث وراء شعبية سهلة، لا يمكننا القول ولا نقول إلا شيئاً واحداً : بكل قوائنا نساعد كل الفلاحين على القيام بالثورة الديمقراطية، حتى يسهل علينا نحن، حزب البروليتاريا المروء بأسرع ما يمكن إلى مهمة جديدة وأرقى - إلى الثورة الاشتراكية»<sup>(76)</sup>.

وفي سنة 1915 ورد له مقال بعنوان «خطان للثورة» ما يلي : «تناضل البروليتاريا وستناضل بكل فتان في سبيل السلطة، ومن أجل الجمهورية وانتزاع الأرض... ومن أجل تشريك «الجماهير الشعبية غير البروليتارية» في تحرير روسيا البورجوازية من نير «الامبريالية» الاقطاعية العسكرية (القيصرية). وسوف تستفيد البروليتاريا مباشرة من هذا التحرر لروسيا من نير القيصرية ومن سلطان الملاكين العقاريين الكبار على الأرض، لا لمساعدة الفلاحين المترفين في صراعهم ضد العمال والفلاحين وإنما لانجاز الثورة الاشتراكية»<sup>(77)</sup>.

ثم عاد مجدداً لنفس الفكرة بالتوضيح في عام 1921 حين قال : «لم يستطع الكاوتسكيون (...) فهم العلاقة بين الثورة الديمقراطية البورجوازية والثورة الاشتراكية البروليتارية. الأولى تتحول إلى الثانية تحل في طريقها مشاكل الأولى، الثانية تدعم عمل الأولى»<sup>(78)</sup>.

ولما أوضح لينين العلاقة الثنية بين مرحلتي الثورة أكد أن المرور من هذه إلى تلك لا يتم بصورة عنقوبة أو آلية بل يخضع لشروط ضبطها منذ 1905 حين قال : «عندما تنجز الثورة الديمقراطية ندخل في الحال - حسبنا تسمح به قوائنا وقوى

(76) مسائل اللبينية، ستالين - ص 163

(77) مسائل اللبينية، ستالين - ص 39

(78) مسائل اللبينية، ستالين - ص 163

لقد زاد تطور الرأسمالية وبلوغها مرحلتها العليا، ودخلنا عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية، العلاقة بين مراحل الثورة متانة. وذلك بحكم انتهاء عصر الثورة البورجوازية من النمط الكلاسيكي وظهور عهد الثورة الاشتراكية الذي أصبحت فيه الثورات العادية للامبريالية وعملياتها المحيطين جزءاً لا يتجزأ منها، ومع ذلك تبقى لكل مرحلة خاصياتها الأساسية وهي كالآتي :

أولاً : إن الثورات القديمة كانت موجهة ضد الاقطاع بهدف فرض سيادة رأس المال وتكوين سوق وطنية، وبعث دولة قومية أو متعددة القوميات، بينما الثورات الحديثة موجهة بصفة أساسية ضد الامبريالية وضد بقايا أنماط الإنتاج الماقبل رأسمالية، بهدف تحقيق التحرر الوطني والاجتماعي.

ثانياً : كانت الثورات القديمة (أي ثورات البورجوازية الصاعدة) تحت قيادة البورجوازية المناهضة للمجتمع الاقطاعي والمبشرة بمجتمع جديد على طرازها، وبذلك لم تخرج أهدافها عن بناء مجتمع طبقي جديد : المجتمع البورجوازي. بينما الثورات الحديثة بعد أن أصبحت البورجوازية رجعية على طول الخط، تحولت القيادة إلى الطبقة العاملة - أي قيادة الثورة البورجوازية - . ورغم أن هدف البروليتاريا هو الاشتراكية فإنها تتكامل بانجاز مهمتي التحرر الوطني والاجتماعي على أحسن وجه - وهما مهمتان بورجوازيتان - بدون أن تتوقف في منتصف الطريق - أي في حدود المهمات البورجوازية - بل تفتح الطريق إلى الثورة الاشتراكية وإلى بناء المجتمع الاشتراكي فالشيوعي.

إن التحول الكبير الذي شهدته الثورة العالمية في عصرنا - عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية - هو الذي جعل العلاقة بين مرحلتها وثيقة الارتباط وأوكل للطبقة العاملة الدور القيادي في كلتا المرحلتين وأعلن أن الثورة البورجوازية من النمط القديم دخلت أرشيف التاريخ.

لقد اعتبر مجادلونا («الشيوعيون الثوريون») تحول الثورة البورجوازية إلى ثورة اشتراكية «بدعة ستالينية» (كذا) وماوية يقولون :

«فهذه الاطروحة هي من الاطروحات التحريفية المبهجة التي صاغتها الاممية الثالثة بعد لينين والتحريفية الستالينية والمأوية في الصراع ضد الشيوعيين الثوريين والثورة الاشتراكية»<sup>(75)</sup>.



البروليتاريا الواعية والمنظمة - طريق الثورة الاشتراكية. نحن مع الثورة المستمرة ولا نتوقف في منتصف الطريق...»<sup>(79)</sup>.

ويعود لينين لمزيد ضبط هذه الشروط ثانية في مؤلفه «الثورة البروليتارية والمرة كاتسكي» يقول :

«إن الرغبة في إقامة جدار صيني بصورة مفصلة بين مرحلي الثورة وفصلها بدرجة اعداد البروليتاريا ودرجة وحدتها مع الفلاحين الفقراء تعني تشويها للماركسية وتحقيرا لها والاستعاضة عنها بالليبرالية»<sup>(80)</sup>.

فولين وهو ينظر للثورة على مراحل - ومن بعده ستالين والاممية الثالثة - لم يدع قط إلى الوقوف في منتصف الطريق بل كان يركز اهتمامه على كيفية استغلال الطاقات الثورية للفلاحين حتى النهاية في كل مرحلة من مراحل الثورة وتهيئة الظروف الانسب للمرو بسرعة من الأولى إلى الثانية وضمان نجاحها. لذلك وضع لينين في القام الأول درجا استعداد البروليتاريا الواعية والمنظمة ودرجة تحالفها مع الفلاحين في الثورة البورجوازية الديمقراطية ومع الفلاحين الفقراء في الثورة الاشتراكية باعتبارها شرطا أساسيا لنجاح الأولى وتحولها إلى الثانية.

إن المسألة في نظر قادة البروليتاريا العالمية هي كيفية توفير الظروف الملائمة لانجاح الثورة وبالتالي كيفية تكتيل القوى الثورية للطبقة العاملة والفلاحين لإطاحة بالعدو الرئيسي وفتح الطريق أمامها للتقدم بثبات على درب التحرر الوطني والاجتماعي وبناء مجتمع اشتراكي خال من الاستغلال والاضطهاد ومن كل تمييز بين البشر. بينما يبحث تروتسكي والبروتسكيون على الصيغ المجردة التي لا علاقة لها بقوانين الصراع الطبقي وعلى التفاهة والقفر على المراحل وتشتيت قوى الثورة باستصدار طاقات الفلاحين الثورية.

وعما سبق يتبين أن تحول الثورة من مرحلتها الأولى إلى الثانية لم تكن بدعة ستالينية أو تحريفا قامت به الأممية الثالثة للمبادئ الماركسية بل كانت تواصلًا واثراءً لها. وكان لينين هو أول من قام بهذه المهمة منذ 1905 وواصل ستالين والاممية الثالثة نفس المهمة وسار بنفس التعاليم. في حين لم يفهم تروتسكي العلاقة بين مرحلي الثورة ولا كيفية المرور من الأولى إلى الثانية وذلك منذ 1905 لا وضع نظرية «الثورة الدائمة» التي نادى فيها بضرورة المرور مباشرة إلى الثورة الاشتراكية، وبقي على هذا الحال إلى آخر يوم في حياته وواصل أتباعه خطاه وسوء فهمه.

(79) مسائل الليبنية، ستالين - ص 39

إن الخلط المقصود بين الليبنية والستالينية وبين الماورية في هذا المجال، ليس سوى محاولة باسطة لتشويه ستالين والاممية الثالثة ووضعها في مصاف المحرفين والدخلاء على الفكر الشيوعي.

ب - لم يفهم تروتسكيون دور الطبقة العاملة القيادي في الثورة :

اعتمد «الشيوعيون الثوريون» في رفضهم المرحلة الأولى من الثورة - الطور البرجوازي الديمقراطي - والحق مهامها بالاشتراكية على الدور القيادي للطبقة العاملة في عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية كي يستنتجوا أن طبيعة الثورة القادمة هي ثورة اشتراكية تحمل عرضا في طريقها المهيمات الديمقراطية والوطنية. وخطبتهم تكمن في أنهم يقرون ألبا بين الدور القيادي للطبقة العاملة وبين طبيعة الثورة وطبيعة السلطة التي ستولد عنها. لقد أدى بهم هذا الخلط إلى أن لا يروا إلا نمطا واحدا من السلطة المنبثقة عن الثورة في أي من مرحلتها ألا وهو دكتاتورية البروليتاريا. في حين أن السلطة المنبثقة عن الثورة الديمقراطية الوطنية بقيادة الطبقة العاملة لا يمكن أن تكون دكتاتورية البروليتاريا بل هي الدكتاتورية الثورية للشعب أي العمال والفلاحين، وهي تمثل نواة دكتاتورية البروليتاريا لأن قيادة الطبقة العاملة للثورة في مرحلتها الأولى تساعد على تجاوز مهامها بصورة جذرية وتعزيز تنظيم العمال بقيادة حزم الماركسي اللينيني وتوطيد تحالفهم مع الفلاحين الفقراء. وبذلك تتوفر شروط المرور إلى المرحلة الموالية أي الاشتراكية وبالتالي المرور بالسلطة من الدكتاتورية الشعبية إلى دكتاتورية البروليتاريا القائمة على تحالف العمال والفلاحين الفقراء. ومن دون شك فعندما تضطلع الطبقة العاملة بقيادة الثورة، يصبح المرور من المرحلة الأولى إلى الثانية يتم في الأساس بصورة سلمية باعتبار أن السلطة المنبثقة عن الأولى لا تمثل مصالح الطبقات الاستغلالية بل مصالح الطبقات الكادحة والمضطهدة (بفتح الهاء) وهي بالتالي تمثل الثانية في شكلها الجنيني. إلا أن ملكة الادراك عند الجماعة توقفت وأصبحوا عاجزين عن فهم كيف تحولت الديمقراطية الشعبية إلى ديمقراطية بروليتارية. نقرأ لهم في احدى انتقاداتهم لنا ما يلي :

«... ألم يساءل منا ضلوا «.....» عن كيفية ذلك التحول (أي من دولة ديمقراطية شعبية إلى دولة «الديمقراطية الاشتراكية» من عندنا) أكان بصورة سلمية أم بصورة ثورية ؟ على حد علمنا أنه وفي أرض الواقع لم تقع ثورة ثانية في ألبانيا. بل إن الدولة القائمة في ألبانيا اليوم هي من حيث طبيعتها الطبقية نفسها منذ قيام الثورة، إذ لم يقع تخطيطها واستبدالها بجهاز دولة جديد»<sup>(80)</sup>.

(80) طريق الشراة (النثر الثور. حناح القطعة) عدد 1 - ص 33

بكل هذه السطحية الساذجة يفهم «الشيوعيون الثوريون» العلاقة بين مراحل الثورة، الامر الذي أدى بهم إلى انكار التحولات الجوهرية التي شهدتها ألبانيا منذ انتصار الثورة، ويقو بتزقيون إلى اليوم قيام ثورة مسلحة ثانية كي تطيح بسلطة «العمال والفلاحين» وتركز سلطة العمال والفلاحين الفقراء (أو بصفة أخرى أنصاف البروليتاريين) (كذا) وسبب هذا العقم يعود إلى أنهم ضيقوا أفقهم إلى أبعد حد ممكن ولم يقدروا على استخلاص الدروس البارزة من الثورات الروسية الثلاثة و الثورات في العالم التي جرت بعد أكتوبر 1917. إن تحول الثورة بصورة سلمية من مرحلتها الأولى إلى الثانية لا يمكن أن يتم الا في حالة ما اذا كانت الطبقة العاملة في قيادة العملية الثورية، ولنا مثالان يمكننا من وضع النقاط على الأحرف في هذه المسألة :

المثال الأول هو سير الثورة في روسيا : أطاحت ثورة فيفري 1917 بالقيصرية وأعلنت تحرير روسيا البورجوازية من نير الامبريالية والاقطاع، وكان للعمال والفلاحين دور أساسي فيها لكن السلطة آلت في النهاية للبورجوازية الليبرالية لأن المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين حازوا على الأغلبية في السوفييات خانوا العمال والفلاحين وتنازلوا عن القيادة وعن السلطة لفائدة البورجوازية الليبرالية.

«فنشأ عن ذلك تشابك طريق بين السلطين بين الدكتاتوريتين، دكتاتورية البورجوازية الممتلئة في الحكومة ودكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الممتلئة في سوفييات نواب العمال والجنود، كان هناك ازدواج في السلطة»<sup>(81)</sup>

ان الازدواج في السلطة الذي نشأ على اثر ثورة فيفري لا يمكن له ان يعمر طويلا ولا بد له ان ينتهي بمركزتها إما بين أيدي الحكومة المؤقتة أو بين أيدي السوفييات، وبما أن سياسة التفاهم الطبقي التي انتهجها المناشفة والاشتراكيون الثوريون ما زالت تلقى التأييد الجماهيري، رأى لينين أن مهمة الحزب يجب أن تتركز على اقناع الجماهير بأن مجالس السوفييات يجب أن تكون الشكل الوحيد للحكومة الثورية المؤقتة كما يجب تحليلها من سياسة التفاهم مع البورجوازية وتكثيف العمل من أجل تغيير ميزان القوى داخلها لصالح البلاشفة.

لم يدع لينين في تلك المرحلة «الى الثورة المسلحة على الحكومة المؤقتة التي كانت تتمتع آنذاك بثقة مجالس السوفييات، لم يكن يدعو الى قلب هذه الحكومة بل كان يريد عن طريق

(81) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي - دار الشرق الجديد للطباعة والنشر - بيروت لبنان 1979 ص 255 -

الايضاح وكسب الانصار، احراز الاكثرية في مجالس السوفييات وتعديل سياسة هذه المجالس، ومن ثم بواسطتها تغيير تركيبة الحكومة وسياساتها»<sup>(82)</sup> وهذا يعني أن لينين كان يريد دفع الثورة نحو التطور بصورة سلمية واستغلال كل الامكانيات الثورية المتاحة ومنذ أن ظهرت أزمة الحكومة المؤقتة في جوان 1917، وأغرقت العمال والجنود المتظاهرين في الدم في جوبلية وشنت هجوما واسعا على الحزب البلشفي، أذنت بانتهاء الازدواجية في السلطة. وانتهت الازدواجية لصالح البورجوازية بحيث انتقلت كل السلطة الى الحكومة المؤقتة وتحولت السوفيياتات بقياداتها المشفية والاشتراكية الثورية إلى ذيل الحكومة.

وبذلك تكون قد انتهت مرحلة التطور السلمي للثورة.

وحال تبدل الأوضاع، عدل الحزب البلشفي خطته فانتقل الى العمل السري وأخذ يستعد للثورة للاطاحة بسلطة البورجوازية. واقامة السلطة السوفيياتية.

لقد أطاحت الثورة الشعبية في فيفري 1917 بالقيصرية - كانت ثورة ديمقراطية بورجوازية - ووفرت امكانيات عرضة للمرود بها إلى المرحلة الاشتراكية. فقد تطورت في البداية بصورة سلمية نظرا للازدواجية في السلطة بين مجالس السوفييات وبين الحكومة المؤقتة البورجوازية ولما انتهت الازدواجية وتمركزت السلطة بين أيدي البورجوازية انتهت مرحلة التطور السلمي للثورة وأصبحت الانتفاضة هي المطروحة لحل التناقضات الاساسية التي تحكم المجتمع الروسي وقتذاك، وتحقق ذلك في أكتوبر 1917.

هكذا يمكن القول أن الثورة الديمقراطية البورجوازية في روسيا - فيفري 1917 - تحولت إلى ثورة اشتراكية في أكتوبر 1917 بصورة سلمية في البداية ثم بصورة عنيفة منذ جوبلية 1917 ووصلت إلى الانتفاضة المسلحة في أكتوبر 1917.

ان سير الثورة الروسية وصيغ تحوها من مرحلة إلى اخرى لا يمكن حصرهما في قوالب جامدة أو تعريفات نصية. ساهمت الطبقة العاملة بقسط كبير في ثورة فيفري الا أنها لم تكن لها الكلمة الفصل في تحديد مآل الثورة مباشرة لانها لم تتول القيادة نظرا لوجود أغلبية مجالس السوفييات بين أيدي المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين خانوا مطالبها وأهدافها وأصبحوا يمثلون البورجوازية الصغيرة واذبال البورجوازية الليبرالية.

ولهذه الأسباب اخذ سير تحول الثورة من مرحلتها الأولى : الديمقراطية البورجوازية إلى مرحلتها الثانية : الاشتراكية، مسارا معقدا من الطور السلمي فيما بين فيفري وجوان

(82) نفس المصدر

1917، ثم دخل طوره العنيف فيما بين جويلية - أكتوبر 1917 وتوج في النهاية بالثورة البروليتارية العظمى.

المثال الثاني يخص الثورة الألبانية :

احتل الفاشيست الطليان البانيا ثم عوضه النازيون. فلم يقف الشعب الألباني مكتوف الأيدي بل نهض للنضال في سبيل تحرير وطنه بقيادة حزبه الشيوعي - حزب العمل اليوم - الذي تأسس في 8 نوفمبر 1941 حدد الحزب الناشئ مهمته الاستراتيجية في تلك المرحلة التاريخية التي يمر بها النضال الطبقي والوطني كالآتي :

«الكفاح في سبيل الاستقلال الوطني للشعب الألباني والحكومة الديمقراطية الشعبية في البانيا متحررة من الفاشية»<sup>(83)</sup>

كان الحزب حدد هذا الهدف بناء على التناقض الرئيسي الذي يحكم المجتمع ومن أجل حل هذا التناقض الرئيسي وتحرير الشعب والوطن من نير الاحتلال ومن الذين كانوا في خدمته، وعمل على توحيد كل القوى الوطنية.

«لتتوحد مع كل الوطنيين الذين يريدون بالفعل ألبانيا حرة، مع كل الألبانيين الذين يريدون البانيا حرة، مع كل الألبانيين الذين يريدون البانيا حرة، مع كل الألبانيين الذين يريدون البانيا حرة»<sup>(84)</sup>

وهكذا برزت فكرة جهة التحرر الوطني التي تبلورت عبر النضال والتي أصبحت تعتبر على الحاجة الملحة لتطوير الكفاح التحرري. وبفضل عمل الحزب التوضيحي والعملي والكفاحي ضد الغزاة الفاشيست، أرسى الوحدة الكفاحية للشعب الألباني. فكانت الخطوة الحاسمة التي قام بها في هذا الشأن عندما دعت لجنته المركزية الى عقد ندوة للتحرر الوطني التي انعقدت في 16 سبتمبر 1942 ضمنت إلى جانب الشيوعيين، وطنيين من اتجاهات مختلفة فانتخبت الندوة عمالاً مؤثراً للتحرر الوطني وتبنى بالاجماع الارضية التي اقترحتها الحزب. وبما جاء فيها :

«المجلس التحرر الوطني أهمية كبيرة، منها تتألف الحكومة التي نسمي الشعب حولها للنضال والانتفاضة»<sup>(85)</sup>

ومع تطور الاوضاع نحو النضج الثوري دعت اللجنة المركزية للحزب الى اجتماع المجلس العام الذي انعقد في 4 جويلية 1943 بلبينو، وقرر بالاجماع تكوين هيئة أركان

(83) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 98

(84) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 11

(85) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 133

عامة لجيش التحرير الوطني وانتخب أنور خوجا مفوضه السياسي. وبذلك تركزت القيادة الاستراتيجية والعملية للكفاح المسلح ضد المحتل وأعوانه، الأمر الذي أعطى لجيش التحرير أكثر فاعلية وساعد على انضاج الظروف من أجل الانتفاضة المسلحة العامة : وكلما أصبحت جهة التحرير وجيشها الشعبي أكثر فاعلية في النضال المعادي للفاشية وعملائها الا وازداد الشعب وعلى الاخص الفلاحون الثقافا حول سياسة الحزب.

وفي الندوة الثانية لمجلس التحرير الوطني المعقودة فيما بين 4 و 8 سبتمبر 1943 رفع شعار :

«من أجل أن تكون مجالس التحرير الوطني السلطة الوحيدة للشعب في ألبانيا»

وفيما بين 24 و 28 فيفري 1944 وطبقا لاقتراح الحزب الشيوعي الألباني انعقد في مدينة «بارمات» أول مؤتمر للتحرر الوطني معاد للفاشية وانتخب المؤتمر المجلس المعادي للفاشية للتحرر الوطني باعتباره أعلى هيكل تشريعي وتنفيذي للبلاد وباعتباره ممثلاً لسيادة الشعب والدولة الألبانية وكلف المجلس بتكوين لجنة التحرير الوطني المعادية للفاشية تقوم بدور الحكومة الديمقراطية الشعبية المؤقتة وانتخب أنور خوجا رئيساً لها.

«ان قرارات المؤتمر الأول حول انشاء الدولة الديمقراطية الشعبية وحول تكوين المجلس المعادي للفاشية والحكومة الديمقراطية المؤقتة لم تكن مجرد مراسيم. فالدولة الألبانية الجديدة وهيئاتها العليا كانت نتيجة النضال التحرري الثوري للشعب الألباني تحت قيادة الحزب الشيوعي»<sup>(86)</sup>

وعلى اساس الخط العام الذي سارت عليه ثورة الشعب التحررية تم تحرير كامل التراب الألباني في 29 نوفمبر 1944 وتركزت السلطة الديمقراطية الشعبية في ألبانيا.

وتمثل هذه السلطة دكتاتورية العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة الممتلئة في حزمها الشيوعي.

«أصبح الفلاحون الحزبان الاساسي والقوة العسكرية الأساسية للنضال في سبيل التحرر الوطني وأمن سند للطبقة العاملة وللحزب الشيوعي الألباني»<sup>(87)</sup>

يقول أنور خوجا :

«في ظروف بلادنا يكون النصر حليف الطبقة التي تكسب الفلاحين الى جانبها»<sup>(88)</sup>

(86) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 223

(87) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 248

(88) تاريخ حزب العمل الألباني، نشر «نعم فراخيري» تيرانا 1971، ص 248

إن النظام السياسي الجديد في ألبانيا يوجد كليا بين أيدي القوى الديمقراطية الثورية وعلى رأسها الحزب الشيوعي. وعلى هذا الأساس فإن النظام الجديد لا يمثل دكتاتورية ديمقراطية للقوى الثورية وإنما هو نظام يحمل نواة دكتاتورية البروليتاريا التي تنمو بسرعة. لقد أنجزت المرحلة الأولى من الثورة بالاستيلاء على السلطة وعند القيام بالإصلاح الزراعي لفائدة الفلاحين.

وبما أن الطبقة العاملة كانت في قيادة هذه المرحلة من خلال حزبها الشيوعي الذي كان ملهمها ومظمها وقائدها، أصبحت مسألة المرور إلى المرحلة الاشتراكية من الثورة مربوطة بمدى استعداد الحزب لذلك ومدى مائة تحالف العمال والفلاحين. أتت الإجراءات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها التي اتخذتها السلطة السياسية لتتمين هذا التحالف وتذكي الصراع الطبقي ضد البورجوازية التي كانت ضعيفة التركيبية ومشتتة الصفوف الأمر الذي مكن الطبقة العاملة في ظرف وجيز من تفكيكها نهائيا والقضاء عليها كطبقة. لم يترقب الحزب إنهاء كل المهام الديمقراطية على آخرها لكي يمر إلى تحمل مهمات البناء الاشتراكي، بل ركز على ما هو أساسي منها وملح: المهام الديمقراطية والمعادية للامبريالية والاقطاع، والتي يعتبر إنجازها امتدادا وتواصلا للثورة الشعبية.

وفي نفس الوقت بدأ بإحداث تغييرات اشتراكية: تأميم أهم قطاعات الإنتاج، مراقبة الدولة للإنتاج والتوزيع تأميم أهم وسائل الإنتاج، إحداث المراقبة العمالية، تأميم البنوك وممتلكات واسهم الشركات والأساسيين الأجانب بدون تعويض.

اتخذت كل هذه الإجراءات فيما بين 1944 - 1945. وبدأت من الزاوية الشكلية إجراءات ديمقراطية. لكن وبما أن الطبقة العاملة كانت هي القائد وتمكنت من تحويلها لصالح الكادحين وفي خدمتهم فقد أخذت التأميمات طابع شركة أهم وسائل الإنتاج، وبهذه الصورة ظهر القطاع الاشتراكي إلى الوجود الذي سيعوض خلال السنين المالية القطاع الخاص الرأسمالي. وبالفعل ما إن حلت سنة 1947 حتى اندثر كليا الإنتاج الصناعي الرأسمالي الخاص وعوضه الإنتاج الاشتراكي.

والى جانب القطاع الاشتراكي للدولة ظهر القطاع التعاوني (المرحلة الأولى نحو المشتركة) في المدينة (تعاونيات استهلاكية) وفي الريف مراكز بيع وشراء، كما ظهرت تعاونيات الحرف التي غطت في 1946 أكثر من نصف الحرفيين. وفي ماي 1946 صدر قانون يعمق الإصلاح الزراعي يقضي بانتزاع أراضي الذين لا يعملون فيها بأنفسهم وتوزيعها على الفلاحين.

ومع ظهور وتوسع القطاع الاشتراكي أصبحت ضرورة ملحة تنظيم تخطيط الحياة الاقتصادية في البلاد، وفي أوت 1946 صدر قانون حول المخطط الاقتصادي العام للدولة وحول هيئاته... الخ.

إن شركة أهم وسائل الإنتاج قضت نهائيا على الهيمنة الاقتصادية للبورجوازية ووفرت القاعدة الاقتصادية لدكتاتورية البروليتاريا. كما أن الإصلاح الزراعي وتعميقه وفر قاعدة متينة لتحالف العمال والفلاحين الفقراء وأعطى بالتالي قاعدة اجتماعية صلبة لدكتاتورية البروليتاريا.

هكذا جرى التحول الاشتراكي في ألبانيا بدون ثورة مسلحة. لم تكن البروليتاريا في حاجة لذلك كي تقود الثورة إلى مرحلة أرقى. كانت تتحكم في سيرها ونسقتها، تقوم بالإجراءات الديمقراطية الثورية وفي نفس الوقت ترتب إعادة البناء الاقتصادي على قاعدة اشتراكية وتدعم تحالفها مع الفلاحين الفقراء وبقية الشعب لتظهر جهاز الدولة والسلطة من المدسسين البورجوازيين، وتضرب مقاومة البورجوازية اقتصاديا وسياسيا.

تركزت دكتاتورية البروليتاريا عبر سيادة سلمية (أي تحول سلمية - بمعنى ما)، وتمززت بدون الاتجاه إلى ثورة مسلحة.

لقد أوضحنا من خلال المثال الروسي والمثال الألباني كيفية المرور بالثورة من مرحلتها الديمقراطية إلى مرحلتها الاشتراكية عبر سبلين سلميين وذلك حسب الموقع الذي تحتله الطبقة العاملة في المرحلة الأولى، رأينا كيف التجأت إلى الانتفاضة المسلحة في روسيا لأن قيادة الثورة الديمقراطية أقلت من بين يديها لتتول للبورجوازية، ثم رأينا كيف جرى التحول السلمي في ألبانيا نظرا لأن الطبقة العاملة المثلثة في حزبها الشيوعي الماركسي اللينيني كانت في قيادة الثورة الوطنية المعادية للفاشية، وهو يؤكد كيف أن الجماعة التروتسكية لا تمهيا المبادئ النظرية ولا مسيرة الثورة وسيرها في الواقع بقدر ما هم متعلقون بقولاب جامدة أدت بالحركة التروتسكية أن تلعب دور المخرب في صلب الحركة العمالية والشيوعية العالمية وكانت ولا زالت إلى جانب التحريفية الحديثة رأس حربة البورجوازية ضد الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي سابقا وفي ألبانيا حاليا، ولن يتخلى تروتسكيوننا عن هذا الدور المصمم لحركتهم مهما كانت الخلافات التي تفصل مجموعات الفريق الواحد كما هو الحال بين «الشاراة» و«طريق الشرارة».

ج - القوى المحركة للثورة :

يقول لينين : «إن المسألة الأكثر أهمية لكل ثورة هي مسألة سلطة الدولة». ولكي يعالج الحزب البروليتاري هذه المسألة لابد له من تحديد الطبقة أو الطبقات

التي تمسك بالسلطة ومن الواجب الاطاحة بها، وكذلك الطبقة أو الطبقات التي تناضل من أجل افتكاك السلطة وتحديد العلاقات الطبقة التي تحكم الصراع فيها بينها. وعلى أساس ذلك يضبط شعاراته الاستراتيجية الأساسية التي تحمل تناقضات هذه المرحلة أو تلك من الثورة.

لنرى كيف تناول «الشيوعيون الثوريون» هذه المسألة؟ يقولون:

«يمكن نعت طبيعة الثورة القادمة في بلادنا بأنها ثورة دائمة تحققها دكتاتورية البروليتاريا المستندة الى الفلاحين الفقراء وسائر الفئات الشعبية».

«... إن دور الطبقة العاملة حاليا في تونس محوري في كل النضالات المطلوبة الاقتصادية والسياسية، إن الطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية وهي القادرة على قيادة تحالف شعبي واسع وتحقيق الانتصار النهائي. إن هذا التحالف الشعبي الذي تقوده الطبقة العاملة سيكون مؤلفا من الفلاحين الفقراء وخاصة إصناف البروليتاريين منهم ومن البورجوازية الصغيرة المدنية التي تزيدها هيمنة البورجوازية

سحقا وخرابا»<sup>(89)</sup>

إن الطبقات والفئات الاجتماعية، التي يعول عليها التروتسكيون لانجاز مهمات الثورة القادمة: الديمقراطية والوطنية والاشتراكية، هي الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والبورجوازية الصغيرة المدنية والمهشون، فهم بذلك يزجون الفلاحين الصغار والمتوسطين من المشاركة في الثورة، بينما هم معنيون بالمهمات الديمقراطية والوطنية، إن خطيئة «أصدقائنا» تكمن في تجاهلهم للفوارق الأساسية في عصرنا بين الثورة الديمقراطية البورجوازية وبين الثورة الاشتراكية البروليتارية وهم القائلون:

«إن التجربة التاريخية قد أثبتت أن تونس شأنها شأن البلدان المختلفة لم تعرف ثورة بورجوازية بحكم السيطرة الامبريالية مرحلتها الاستعمار المباشر والاستعمار الجديد فبقيت المهام الديمقراطية مطروحة بدون حل وتعاظم الدور الرجعي للبورجوازية المحلية وتأكدت الحقت هذه المهام بالطبقة العاملة وعشرونها الجذري التاريخي وأصبحت مهام انتقالية آتية تحمل عرضا في إطار الثورة الاشتراكية بقيادة البروليتاريا ضمن استراتيجية الثورة الدائمة»<sup>(90)</sup>، وعلى الرغم من اعترافهم بأن «المهام الديمقراطية بقيت بدون حل»، فإنهم ألحقوها «بالثورة الاشتراكية». إننا نفر بالتداخل بين مهام الثورة الديمقراطية ومهامهم

(89) الشراة عدد 1 - ص 14 - 15

(90) الشراة عدد 2 - ص 15

الاشتراكية لكننا في نفس الوقت نفرق بين هذه وتلك لان كل واحدة منها تحدد طبيعة المرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة، وتنظم طبقات معينة لتحقيق الاهداف المرسومة لتلك المرحلة.

لقد أوضح لينين ذلك منذ 1905 في مؤلفه «خطتنا الاشتراكية الديمقراطية» حين قال:

«ينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الديمقراطية إلى النهاية بأن تضم إليها جماهير الفلاحين لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشلّ تدبذ البورجوازية، وينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الاشتراكية بأن تضم إليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان لسحق مقاومة البورجوازية بالقوة وشلّ تدبذ الفلاحين والبورجوازية الصغيرة»<sup>(91)</sup>.

يقر «الشيوعيون الثوريون» أن الثورة الديمقراطية الوطنية لم تتحقق وأصبحت بالتالي مهامها الأساسية ملقاة على عاتق الطبقة العاملة باعتبارها الطبقة الأكثر تقدما والطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية، لكنهم لم يفهموا أن المهمات التي تميز المرحلة الأولى من الثورة لا تتم الطبقة العاملة وجهاور أنصاف البروليتاريين، بل تتم الشعب بأسره وبصفة أساسية جمهور الفلاحين.

من واجب الطبقة العاملة في هذه المرحلة أن لا تكتفي بالمشاركة في الثورة الديمقراطية الوطنية بل ينبغي عليها أن تضطلع فيها بالدور القيادي، وتحملها لهذا الدور لا يعني تحويل المهمات الديمقراطية والوطنية إلى مهمات اشتراكية. أو اعطاءها طابعا اشتراكيا، أو أن تعرض بقية الطبقات الشعبية في الثورة وفي التمتع بمسئولياتها، ومع ذلك ينبغي عليها أن لا تنحصر نفسها في الأفق البورجوازي لهذه المرحلة بل عسب أن توسع اطار الصراع الطبقي وتجاوز حتى لا يقتصر على المهمات البورجوازية وإنما يشمل أيضا المهمات الاشتراكية. إن الطبقة العاملة كما أكد على ذلك لينين مرارا لا يمكنها الاحتراز على النصر بفردتها رغم انها الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية، فهي في حاجة إلى عقد تحالف متين مع جمهور الفلاحين وتخويلهم من احتياطي للبورجوازية إلى قوة محرك للثورة في مرحلتها الأولى بقيادة البروليتاريا.

لقد أكدت التجربة الروسية والالمانية وبقية التجارب الثورية في العالم أن الطبقة التي تتوصل إلى كسب الفلاحين إلى جانبها يكون النصر حليفها بالضرورة، وأن كل استعمار

(91) المختارات المجلد 1 الجزء 2، دار التقدم موسكو، لينين - ص 105

\* إنه لمن الاهمية بمكان وضع الفرق الجوهرية بين الشعار الاستراتيجي للمرحلة الاولى من الثورة (الديمقراطية البورجوازية) وبين المرحلة الثانية (الاشتراكية)، لكي تتمكن من معرفة الطبقات والفئات الشعبية الواجب كسبها للثورة وحشدتها في سبيل تحقيق الاهداف المرسومة لها،

\* ان الطبقة العاملة تتحالف في الاولى مع جمهور الفلاحين وفي الثانية مع الفلاحين الفقراء وتتركز في الاولى الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين، وفي الثانية الدكتاتورية الاشتراكية للعمال والفلاحين الفقراء، كتب لينين في أواخر أوت 1917 مقالا تحت عنوان «فلاحين وعمال» قال فيه :

«ان البروليتاريا والفلاحين هما وحدهما القادران على قلب الملكية : هكذا كان التعريف الجوهري للمرحلة لسياستنا الطبقة. وهذا التعريف قويم، واكده مرة اخرى في فيفري مارس 1917، والبروليتاريا قائد الفلاحين الفقراء بإمكانها وحدها إنهاء الحرب من اجل سلم ديمقراطية وتقسيم الجراح والقيام بالخطوة الاولى التي اصبحت ضرورية وملحة نحو الاشتراكية، هذا هو تعريف سياستنا الطبقة اليوم»<sup>(92)</sup>

وكتب في 1918 يقول :

«نعم ان ثورتنا بورجوازية طالما نحن نسير مع عامة الفلاحين، ونحن على وعي تام بذلك، وكنا كررنا القول مئات وآلاف المرات منذ 1905، اننا لم نحاول مطلقا حرق هذه المرحلة الضرورية في السيرة والتاريخية ولا بانهايتها بواسطة المراسيم... لكن في 1917 ومنذ شهر افريل، قيل ثورة أكتوبر ومسكنا للسلطة بكثير، كنا نقول بكل صراحة ونوضح للشعب أن الثورة حاليا لا يجب أن تتوقف عند هذا الحد لأن البلاد قطعت مسافة لا بأس بها، والرأسمالية تقدمت اشواطاً، والدمار الذي بلغ مقاييس غربية يفرض (أحيينا أم كرهنا) المضي قدما نحو الاشتراكية، وبدون ذلك من غير الممكن المضي قدما وإنقاذ البلاد المنهكة بالحرب وتفريغ كربة الشغاليين المستغلين (بفتح العين) لقد جرت الأمور تماما كما قلنا، أكد سير الثورة صحة تفكيرنا، في أول الامر مع كل الفلاحين ضد الملكية واللاكين المقارين الكبار. وضد الاقطاعية (وتبقى الثورة بذلك بورجوازية، ديمقراطية بورجوازية)، ثم مع الفلاحين الفقراء مع أنصاف البروليتاريين مع كل المستغلين (بفتح العين) ضد الرأسمالية بما في ذلك الفلاحين الاغنياء والكولاك والمضاربين وبذلك تصبح الثورة اشتراكية»<sup>(93)</sup>.

(92) مسائل اللبينية، ستالين - ص 236

(93) دكتاتورية البروليتاريا والمردن كاوتسكي لينين

لدورهم يحرم الطبقة العاملة من طاقات ثورية كان بالإمكان توظيفها لانجاز المهام الديمقراطية والوطنية في أساسها بصورة جذرية، وبالتالي تعيد الطريق للمرور إلى الاشتراكية.

إن الامر لا يتوقف عند التخلي عن طاقات ثورية للفلاحين بل يتحول التحقير من دورهم أو تجاهله إلى عائق أمام احراز النصر وذلك لسببين :

أولاً : هو أن جيش الثورة يبقى محدودا بحكم غياب جزء هام من الشعب عن المعركة إلى جانب الطبقة العاملة،

والثاني : يتمثل في أن الجزء الهام من الشعب (الفلاحين) يبقى احتياطيا للبورجوازية. وترك جمهور الفلاحين تحت تأثير الاحزاب الاصلاحية والفاشية والبورجوازية بصفة عامة، هو في النظرية والممارسة مد يد العون للبورجوازية ضد الطبقة العاملة ووقوف صريح ضد انتصار الثورة ويعدّ مجرد لغو التفكير في انجاز المهام الديمقراطية والوطنية - حتى وإن كان بصورة عرضية - باستثناء الجزء الرئيسي من المعينين بها، ومن العبث التفكير في المرور إلى الاشتراكية بدون تحقيق أهداف المرحلة الاولى.

فقد أكد سير الثورات الروسية الثلاث الاستنتاجات العملية التالية :

\* كانت الرأسمالية هي غط الانتاج المهم من أواخر القرن الماضي، ومع ذلك حدد حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي شعاره الاستراتيجي المركزي فيما بين 1905 - فيفري 1917 (مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية) في الاطاحة بالقيصر والملاكين العقاريين الكبار، وتركيز السلطة الثورية للعمال والفلاحين.

\* وفي المرحلة الثانية من الثورة (فيفري - أكتوبر 1917) أي مرحلة الثورة الاشتراكية كان الشعار الاستراتيجي للحزب هو الاطاحة بسلطة البورجوازية وتركيز دكتاتورية البروليتاريا بالتحالف مع الفلاحين الفقراء.

\* وأكد سير الثورة الروسية أن المرور من المرحلة الاولى إلى الثانية لا يشترط انجاز كل المهام الديمقراطية بل الأساسي منها الذي يعد امتدادا مباشرا لعملية الاطاحة بالطبقات القديمة والبقية تتكفل بانجازها دكتاتورية البروليتاريا، إذ لا يمكن الفراغ من المهام الديمقراطية البورجوازية دفعة واحدة بل يتواصل انجازها طوال فترة كاملة تتشابه فيها مع المرحلة الموالية.

ففي روسيا مثلاً وبعد ثورة أكتوبر تواصل تحقيق المهمات الديمقراطية البورجوازية إلى 1919 في منطقة الفولغا والاورال، وإلى 1920 في أوكرانيا، وهو ما يؤكد أن الثورة البورجوازية لا تسير حتى نهايتها إلا عندما تتوفر الامكانية لتحويلها إلى ثورة اشتراكية :

إن ادعاء «الشويعين الثوريين» القائل بأن لينين تخلى في أبريل 1917 عن الصبغة الغامضة للسلطة : الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين (كدا!!) وعرضها بمنهوم أدو يفهموا من اللينينية شيئا وبالأحرى يعتمدون تحريفها وتزيورها.

رفع لينين شعار الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين إلى حدود فيفري - مارس 1917 لكونه يتناسب والمرحلة البورجوازية من الثورة، ومنذ أبريل 1917 نادى لينين بضرورة المرور إلى المرحلة الموالية مرحلة الثورة الاشتراكية وبالتالي إلى دكتاتورية البروليتاريا وسائر المستغلين (يفتح الغين)، أين يكمن الغموض إذن ؟

انه موجود في النظرية التروتسكية التي لا تعبر وزنا لقيادة البروليتاريا الثورة البورجوازية وتركوا بالتالي الفلاحين تحت تأثير قيادة البورجوازية وتبحث عن المرور مباشرة إلى الاشتراكية بالاعتماد فقط على الدور القيادي للطبقة العاملة، وفيما يتعلق بالقوى المحركة للثورة في بلادنا فقد كنا حللنا أن المهام التي تفرضها المرحلة هي مهام ديمقراطية ووطنية ملقاة على عاتق الطبقة العاملة غير أنه لا ينبغي عليها أن تتجاهل المعنيين بها أي جمهور الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة المدينة، وبمثل التحالف بين العمال والفلاحين العمود الفقري لهذه الوحدة الشعبية العرضية في حين يرى التروتسكيون أن القوى المحركة للثورة :

«الطبقة العاملة... القادرة على قيادة تحالف شعبي واسع وتحقيق الانتصار النهائي ان هذا التحالف الشعبي الذي تقوده الطبقة العاملة سيكون مؤلفا من الفلاحين الفقراء وخاصة انصاف البروليتاريين منهم ومن البورجوازية الصغيرة المدينة التي تزيدها هيمنة البورجوازية سحقا وخرابا ومن الفئات المهمشة»<sup>(94)</sup>.

وبهذه الصورة ازاح التروتسكيون من صفوف الثورة الفلاحين الصغار والمتوسطين والبورجوازية المتوسطة وتركوهم احتياطيا للبورجوازية العميلة والامبريالية، وهم بذلك يفتنون كرجال مطلقاء الثورة وكمنحرفين لصفوفها ومدافعين بشكل مقنع على ديمومة النظام الرأسمالي.

ان البورجوازية المتوسطة لا تمثل طبقة بحد ذاتها بل شريحة من شرائح البورجوازية التي تنصر الامبريالية واحتكار البورجوازية الكبيرة للسوق بمصالحها، لذلك فهي معادية بالثورة الديمقراطية الوطنية ونحن لا ندعو الى منحها قيادتها باعتبار طبيعة المهام، او الى

(94) الشرارة عدد 1 - ص 15

لحسم القيادة معها وبالتالي السلطة، ولا داعي لاصلاقنا باللاوية وبالسلطة الرباعية للرد علينا، انها ليست مرجعنا النظري، ولا داعي ايضا لبذل جهد في تأويل مقولاتنا النظرية السياسية.

- «الشويعيون الثوريون، والتحريرية الحديثة :

لم تمكن الى اليوم من الاطلاع على موقف تروتسكيينا الخاص من ظهور التحريرية في الاتحاد السوفياتي والتحولات الجوهرية التي ادخلتها على دكتاتورية البروليتاريا فحولتها الى كاتاتورية بورجوازية ولم تغثر الا على بعض الاشارات العريضة هنا وهناك او الفقرات الطائشة، الأمر الذي يجعلنا نتعرض الى تقديم بشيء من التحفظ رغم اننا وجدنا مواقفهم مطابقة مع نظراتهم اللبانيين، لذلك فإننا سوف نستعين بها في اتجاه رسم معالم رد عام في انتظار تطور الصراع وتحلي مواقفهم، يمكننا القول ان موقف التروتسكيين التونسيين يركز على :

1 - انكار التحولات الاشتراكية التي جرت في الاتحاد السوفياتي ايام لينين والتي اصل تعميقها وثبوتها سنالين من بعده واعتبار ان التوجه نحو تعزيز دكتاتورية البروليتاريا مركزية الاقتصاد الاشتراكي بين ايدي الدولة، ومشركة الفلاحة والتصديدي الحارم لقائمة الطبقات القديمة وعلى الاخص الكولاك، وتنظيف الحرب وجهاز الدولة من الانتهازيين المخربين يعد «التحطاطا بيروقراطيا» وتحريرية سنالينية». ومعنى آخر ان السلطة قد استولت عليها بعد البيروقراطية وحولت دكتاتورية العمال الى دكتاتورية بيروقراطية عليهم.

2 - انكار التحولات التي جددت بالاتحاد السوفياتي اثر موت سنالين واستيلاء لتحريريين على اعل المراكز في السلطة، والتي جعلته ينتقل من دولة اشتراكية الى دولة رأسمالية امبريالية، ومن دولة مناصرة للشعوب الى دولة معادية لها تتصارع مع الامبريالية العالمية على الهيمنة على العالم ومن مركز الثورة العالمية الى احد اعظم اقطاب الرجعية العالمية. ومن ثمة فانهم لا يعتبرون الفرق الجوهري الذي يفصل بين عهد لينين وسنالين في الاتحاد السوفياتي وبين مرحلة استيلاء التحريرية الخرتسوفية على السلطة، ان الامر ينحصر لديهم في وجود بيروقراطية عمالية استولت على جهاز الدولة، وبالتالي فإنه يكفي ازاحتها تعويضها بقيادة «شوعية» (اي تروتسكية) حتى تستقيم الامور وتسجم البنية الفوقية جسدة في الدولة مع البنية التحتية ذات الطابع الاشتراكي.

3 - انكار بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لاعبارهم ان الاشتراكية تمثل المرحلة الاولى من الشيوعية التي تنفي الطبقات، وهي مرحلة لا يمكن تحقيقها في بلد واحد كانت به الثورة مظفرة.

4 - انكار ان دكتاتورية البروليتاريا تعني بالضرورة تحالفا متينا بين العمال والفلاحين تحت قيادة الاولين، وهذا الانقسام الطبقي لا يؤدي كما في المجتمعات الطبقة السابقة الى تناحر بين الطبقتين بل الى وحدة وتعاون بينهما لتقارب مصالحهما وتوافقها.

5 - انكار امكانية عودة الرأسمالية في بلد اشتراكي. وهذه نظرة مثالية ميتافيزيقية منافية لقوانين الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية وبين الطريق الاشتراكية والطريق الرأسمالية. فالردة ممكنة دائما في اي بلد اشتراكي نتيجة تواصل بعض العناصر من المجتمع القديم ونتيجة الحصار المستمر للامبريالية من الخارج.

6 - عزل البنية القومية عن البنية التحتية، فالتروتسكيون يتصورون انه بالامكان ان تكون الدولة بيد يبروقراطية معادية للاشتراكية وان تظل القاعدة المادية للمجتمع اشتراكية. وهذا يطرح رأسا مفهوم الدولة والثورة لدى هؤلاء «الثوريين» حتى النهاية.

وبهذه الصورة يتكبرون للطايع الطبقي للدولة وكأن «البروقراطية في الاتحاد السوفياتي وسائر الدول العمالية» المشوهة يبروقراطيا، ليست طبقة اجتماعية تحكم الثورة ووسائل الانتاج، وانما مجرد «فئة اجتماعية» لا تملك سوى امتيازات تحصلت عليها من احتكارها للسلطة السياسية، لذلك ظل «الشيوعيون الثوريون» عاجزين عن فهم حقيقة البنية الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة الدولة في الاتحاد السوفياتي وفي سائر البلدان التحريفية، ومن ثمة عن تحديد مهام الثورة في هذه البلدان. فوجدوا انفسهم الى جانب التحريفية الخروتشوفية والعجدة الخامسة في الدفاع عنها.

وخلاصة القول فإن التروتسكية والتروتسكيين ظلوا على الدوام في الصف المعادي للشيوعية وللماركسية اللينينية ولعبوا دور المخرب لصفوف الثورة سواء كان نظريا او سياسيا او عمليا ووقفوا الى جانب الايدولوجيا البورجوازية والى جانب التحريفية الخروتشوفية ضد الايدولوجيا البروليتارية. وما يقوم به تروتسكيونا في تونس من تخريب وبث للبلبله وتشكيك في الاشتراكية ومن سعي الى حجب الاهداف الثورية امام الطبقة العاملة والشعب الكادح، يؤكد لنا صحة الاستنتاجات التي خرج بها لينين وستالين ومن ورائها الاممية الثالثة.

## الفهرس

تقديم	5
الجزء الأول : تروتسكي، التروتسكية	
I تروتسكي ذو الوجوه المتعددة أو «بهذا الثورة»	7
II التروتسكية نظرية معادية للماركسية اللينينية على طول الخط	
(1) التروتسكية والحزب من الطراز اللينيني	14
(2) نظرية «الثورة الدائمة» معادية للماركسية اللينينية والثورة	20
III التروتسكية معادية للثورة على طول الخط	31
الجزء الثاني : «الشيوعيون الثوريون» في تونس	
I «الشيوعيون الثوريون» في تونس (مجموعة نصيرة للأمية الرابعة التروتسكية)	33
(1) «الشيوعيون الثوريون» ونظرية الحزب	34
(2) حول عضوية الحزب	39
(3) المركزية الديمقراطية	43
(4) شيء من التاريخ، وقرار المؤتمر العاشر الخاص بوحدة الحزب	51
II «الشيوعيون الثوريون» وطبيعة الثورة القادمة	
(1) حول طبيعة السلطة القادمة	69
(2) علاقة الثورة الديمقراطية بالثورة الاشتراكية والقوى المحركة لها	76
(3) «الشيوعيون الثوريون» والتحريفية الحديثة	93



طبع المطابع الموحدة  
المنطقة الصناعية — الشرقية — تونس

٧٧